البنية الخطابية والنحوية لهمزة الاستفهام في القرآن الكريم: قراءة في تحليل العالم النحوي ابن هشام الأنصاري وأبعادها التفسيرية

:"The Discursive and Syntactic Structure of the Interrogative Hamza in the Qur'an: A Reading of the Analysis by the Grammarian Ibn Hisham al-Ansari and Its Interpretive Dimensions"

ثائر محمد إبراهيم الملكاوي*

محاضر غير متفرغ في الجامعة الأردنية- مركز اللغات. المملكة الأردنية الهاشمية- عمان **Thaeralmalkawi555@gmail.com**

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2025-06-23	2025-07-14	2026-01-29

ملخّص: تتناول هذه الدراسة البنية النحوية والخطابية لهمزة الاستفهام في القرآن الكريم، من خلال تحليل مختارات من باب المفردات في مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، بهدف الكشف عن الأبعاد التفسيرية الكامنة في استعمال هذا الحرف.

وتكمن مشكلة البحث في قصور بعض الدراسات المعاصرة عن الربط بين البنية النحوية والدلالة التفسيرية، مما استدعى إعادة قراءة همزة الاستفهام في ضوء مقاربة تحليلية نقدية. اعتمد الباحث المنهجين التحليلي والنقدي، مبرزًا دور ابن هشام في تجاوز النقل إلى المداخلة والتعقيب، بل وتصويب أقوال بعض المفسرين كأبي القاسم الزمخشري. ومن أبرز النتائج أن ابن هشام أظهر قدرة استثنائية على الربط بين التركيب والمعنى، وأن معالجته لهمزة الاستفهام كشفت عن قضايا عقدية وتأويلية دقيقة، تُثري الدرسين النحوي والتفسيري على حد سواء.

الكلمات المفتاحية: همزة الاستفهام؛ الخطاب القرآني؛ ابن هشام الأنصاري؛ مغني اللبيب؛ التحليل النحوي التفسيري.

---

* المؤلف المرسل

Abstract: This study explores the syntactic and discursive structure of the interrogative Hamza in the Holy Qur’ an, through an analytical reading of selected passages from the "Lexical Chapter" in Mughni al-Labīb by Ibn Hisham al-Ansari. The research problem lies in the limited engagement of modern studies with the intersection between syntactic structure and exegetical meaning. The study adopts both analytical and critical methodologies to highlight Ibn Hisham’s role not merely as a transmitter, but as an active interpreter who at times corrected prominent exegetes such as al-Zamakhshari. Key findings reveal Ibn Hisham’s exceptional ability to connect grammatical form with interpretive depth, and that his treatment of the interrogative Hamza unveils nuanced theological, grammatical, and exegetical dimensions that significantly enrich the fields of Arabic grammar and Qur’anic interpretation.

Keywords: Interrogative Hamza; Qur’anic discourse; Ibn Hisham al-Ansari; Mughni al-Labīb; syntactic-exegetical analysis.

1.مقدمة: الحمد لله الذي أنزل على عباده هذا الكتاب العظيم، القرآن الكريم، مصونًا من التحريف، محفوظًا من الزيادة والنقصان، هاديًا للناس إلى سواء السبيل، وجعل فيه من البيان والهدى ما لا يدانيه كلام. وقد اقتضت حكمة الله أن يكون هذا القرآن عربيّ اللسان، فكان من تمام فهمه وإدراك معانيه الغوص في لغة العرب، نحوًا وصرفًا وبلاغة. ومن هنا جاءت عناية العلماء بضبط أوجه الإعجاز اللغوي فيه، ومنهم الإمام ابن هشام الأنصاري، الذي قدّم في كتابه "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" جهدًا نحويًا عظيمًا، اتسم بالتحقيق والتمحيص، وجعل من الشواهد القرآنية ميدانًا لتطبيق القواعد واستنباط الأحكام. وقد عزم الباحث على دراسة موضعٍ دقيق من هذا الكتاب، هو "همزة الاستفهام"، لما لها من وظائف نحوية ودلالية رفيعة، ولما يترتب على فهمها من نتائج تفسيرية جوهرية، فجاءت هذه الدراسة الموسومة بـ: "**همزة الاستفهام في الشواهد القرآنية: دراسة تحليلية في كتاب مغني اللبيب وأثرها التفسيري**".

تهدف الدراسة إلى استقراء الشواهد التي أوردها ابن هشام في باب الألف المفردة، وتحليلها نحويًّا وربطها بالدلالات التفسيرية، مع التركيز على كلام ابن هشام، والوقوف عند مواضع الخلاف بين القرّاء والنحويين والمفسرين كأمثال الزمخشري وأبي

حيان وسيبويه، مع بيان وجه الترجيح فيها، وتنظيم المادة حسب ترتيب ابن هشام، مع الاستعانة بأكثر من شاهد عند الحاجة.

أهداف الدراسة

1. تحليل الشواهد القرآنية في مغني اللبيب المتعلقة بهمزة الاستفهام في معناها الحقيقي، وبيان أثرها التفسيري.
2. دراسة ما خرجت إليه الهمزة من معانٍ مجازية، وتحليل الشواهد المرتبطة بها في ضوء أقوال المفسرين والنحاة، مع إبراز قيمتها في موضعها وسياقها.

أهمية الدراسة

1. إبراز مكانة الإمام ابن هشام في الدرس النحوي، وخصوصًا في تناوله لهمزة الاستفهام.
2. إظهار العلاقة التفاعلية بين علم النحو وعلوم التفسير، بوصفها مدخلًا لفهم دقيق للقرآن الكريم.
3. بيان أهمية همزة الاستفهام في كشف أوجه المعنى القرآني وأثرها في بناء الخطاب التفسيري.

مشكلة الدراسة: تتناول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما موقع همزة الاستفهام في الشواهد القرآنية كما وردت في مغني اللبيب، وما أثرها التفسيري؟

ويتفرع عن هذا السؤال سؤالان فرعيان:

1. ما همزة الاستفهام الحقيقي في الشواهد القرآنية وأحكامها وأثرها التفسيري في مغني اللبيب؟
2. ما المعاني التي خرج إليها الاستفهام في تلك الشواهد؟ وما دلالتها التفسيرية كما عرضها ابن هشام؟

منهج الدراسة: اتبع الباحث في هذه الدراسة منهجين أساسيين:

1. المنهج التحليلي: من خلال تتبع الشواهد القرآنية في مغني اللبيب، وتحليلها نحوياً وربطها بالدلالات التفسيرية.

2. المنهج النقدي: بالموازنة بين أقوال النحاة والمفسرين، وبيان مدى وجاهة كلام ابن هشام، مع تقديم الترجيحات المناسبة.

ولم يعتمد الباحث المنهج الاستقرائي تجنبًا للإطالة وخروجًا عن حدود الدراسة.

حدود الدراسة: اقتصر البحث على الجزء الأول من باب "الألف المفردة" في مغني اللبيب، الذي يمثل الكلام عن "همزة الاستفهام" بكل ما يتعلق بها من أحكام ومعانٍ ودلالات، وفق ما هو مبيَّن في الإشكالية.

الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع

1. "توجيه الشاهد القرآني في مغني اللبيب" (زمزم أحمد علي تقي، جامعة أم القرى، 1432هـ/2011م): دراسة نحوية تحليلية للشواهد، لكنها لم تتناول الأبعاد التفسيرية المتعلقة بهمزة الاستفهام كما تفعل هذه الدراسة.

2. "جهود ابن هشام في تفسير القرآن من خلال مغني اللبيب" (بو عمرة سونة مالك، جامعة البليدة 2، العدد 16): تناول الباحث جهود ابن هشام من زاوية لغوية تفسيرية عامة، وطرح أسئلة متفرقة، دون تعمّق تحليلي في الشواهد ذات العلاقة بهمزة الاستفهام تحديدًا.

3. "جهود ابن هشام في خدمة القرآن الكريم" (د. أسماء موسى، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، 2018/6/1): تناولت الباحثة دور ابن هشام في تمكين المفسر من أدوات لغوية دقيقة، وبيّنت طريقته في استحضار الآيات، لكنها لم تفرد لهمزة الاستفهام معالجة مستقلة تحليلية كما فعل هذا البحث.

خطة الدراسة: قام الباحث بصياغة هيكل الدراسة على نحو منهجي متكامل، يتألف من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين رئيسين، يندرج تحتهما عدد من المطالب والفروع، ويُختتم بخاتمة جامعة للنتائج والتوصيات. جاء التمهيد لتوضيح المفاهيم الرئيسة المكونة لعنوان الدراسة، مع التركيز على التعريف العلمي الدقيق بهمزة الاستفهام.

أما المبحث الأول، فقد عُني بدراسة همزة الاستفهام في الشواهد القرآنية وأحكامها كما وردت في مغني اللبيب لابن هشام، وبيان أثرها في التفسير، وقد تضمن مطلبين:

المطلب الأول: همزة الاستفهام الحقيقي في الشواهد القرآنية وأثرها التفسيري.

المطلب الثاني: الأحكام المتعلقة بالهمزة في الشواهد القرآنية وأثرها في توجيه المعنى التفسيري.

في حين تناول المبحث الثاني المعاني التي خرجت إليها همزة الاستفهام في الشواهد القرآنية عند ابن هشام، وانعكاس ذلك على البنية التفسيرية، وقد اشتمل على ثمانية فروع دلالية، هي:

1. همزة التسوية وأثرها التفسيري.
2. همزة الإنكار الإبطالي وأثرها التفسيري.
3. همزة الإنكار التوبيخي وأثرها التفسيري.
4. همزة التقرير وأثرها التفسيري.
5. همزة التهكم وأثرها التفسيري.
6. همزة الأمر وأثرها التفسيري.
7. همزة التعجب وأثرها التفسيري.
8. همزة الاستبطاء وأثرها التفسيري.

وقد وُظِّف هذا التقسيم لخدمة غاية البحث في الربط بين البنية النحوية والدلالة التفسيرية، استنادًا إلى تصور ابن هشام الأنصاري ومنهجه في مغني اللبيب.

2. المفاهيم التأسيسية لعنوان الدراسة: تُعدّ همزة الاستفهام محور هذه الدراسة، وهي من الأدوات التي صنّفها ابن هشام الأنصاري ضمن باب "المفردات" في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حيث أوضح أن مراده بالمفردات: الحروف وما تضمنته من المعاني الاسمية أو الظرفية، ورتّبها وفق حروف المعجم تسهيلًا للرجوع إليها. وتندرج همزة الاستفهام تحت ما يُعرف بـ"حروف المعاني"، وهي أدوات لغوية مستقلة بذاتها، تختلف عن حروف المبنى التي لا تنفك عن الكلمة [1]. وقد عرفها النحويون بأنها أدوات تربط بين المكونات الاسمية أو الفعلية ضمن بنية الجملة، وتؤدي وظائف دلالية خطابية عالية التأثير. وقد أفرد ابن هشام الهمزة تحت عنوان "الألف المفردة"، تماشيًا مع ترتيبها في حروف الهجاء، وأشار المرادي إلى أن همزة الاستفهام حرف مهمَل من حيث الشكل، لكنه مشترك من حيث الوظيفة، إذ يدخل على الأسماء والأفعال، ويُعدّ أصل أدوات الاستفهام جميعًا. ولأصالتها هذه خصّها النحاة بمباحث دقيقة، تناولت وظائفها ومعانيها التحويلية في السياق القرآني [2]. وهو ما شكّل الأساس الذي بُنيت عليه فصول هذه الدراسة، التي تُعنى بالتحليل النحوي والخطابي والتفسيري لتلك الوظائف، من خلال شواهد قرآنية مختارة بعناية [3].

3. همزة الاستفهام في الشواهد القرآنية وأحكامها في مغني اللبيب وأثرها التفسيري

يُعدّ الشاهد القرآني في الدرس النحوي أحد أبرز مرتكزات التحليل اللغوي والدلالي، لما له من موثوقية مرجعية وسلطة بيانية؛ إذ هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وقد أولى ابن هشام الأنصاري في مغني اللبيب اهتمامًا خاصًّا بالشواهد القرآنية في باب المفردات، لا سيما ما تعلق منها بـ"الألف المفردة" أو همزة الاستفهام. وبيّن أن الاستفهام في حقيقته هو طلب الفهم، وقد تناول في هذا الباب ثلاث قضايا مركزية: استعمال الهمزة في معناها الحقيقي، وأحكامها النحوية، ثم خروجها عن المعنى الأصلي إلى دلالات خطابية مختلفة.

1.3- دلالة همزة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡآخِرَةَ ﴾ [الزمر: 9]

يستشهد ابن هشام في هذا الموضع على الهمزة بصيغتها الأصلية الاستفهامية، مبينًا أن هذا الاستعمال يُمثّل المعنى الحقيقي لأداة الاستفهام، أي طلب الفهم. وقد ناقش الخلاف في تأويل الآية، فأشار إلى أن قراءة الحرمين تحتمل وجهين: الاستفهام والنداء. ونقل عن الفراء قوله بأن الهمزة هنا للنداء، وهو قول مرجوح عند ابن هشام، لعدم وجود نداء في القرآن بغير "يا". كما أن جعْلَ الهمزة استفهامية يتطلب تقديرًا محذوفًا: "أمَّن هو قانت خيرٌ أم هذا الكافر؟"، في إشارة إلى ما قبله من سياق، كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا﴾ [الزمر: 8]. إن هذا المثال يُظهر الدقة التحليلية التي اتسم بها ابن هشام في الجمع بين البنية النحوية والدلالة التفسيرية، حيث تُبنى وظيفة الهمزة ليس على مجرد وجودها التركيبي، بل على السياق الخطابي العام، مما يكشف عمق التكامل بين علوم اللغة والقرآن، ويُعطي للهمزة بُعدًا تداوليًّا مهمًا في تحديد نوع الخطاب: هل هو إنكاري، أم تقريري، أم تقابلي، كما هو ظاهر هنا[4].

توضيح موقف ابن هشام من دلالة الهمزة في الآية: بيّن ابن هشام الأنصاري أن الأصل في همزة الاستفهام أن تكون على حقيقتها، أي دالةً على طلب الفهم المباشر، وهو ما يشير ضمنًا إلى إمكانية خروجها عن هذا المعنى إلى دلالات مجازية أو خطابية. وقد مثّل على استعمالها الحقيقي بجملة: "أزيدٌ قائم؟"، حيث حلّت الهمزة محل "أستفهم"، ويُعرب ما بعدها مبتدأً وخبرًا؛ إذ إن "زيد" مبتدأ و"قائم" خبره، نظرًا لعدم وجود فاصل بين العامل ومعموله، وهو ما أكده سيبويه بقوله: "فحرف الاستفهام لا يُفصَل به بين العامل والمعمول"[5]. وقد أجاز ابن هشام للآية الكريمة: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ وجهين من جهة الدلالة: أن تكون الهمزة للاستفهام، أو للنداء، مستندًا في ذلك إلى قراءة الحِرميْن (ابن كثير ونافع) بالتخفيف في "أمن"، وهو تخفيف "أمّن"، كما أشار

أيضًا إلى قراءة حمزة الزيات بهذه الرواية، وهو ما قرره أبو عمرو الداني بقوله: "الحرميان وحمزة (أمن هو) بالتخفيف، والباقون بالتشديد" [6].

وقد نسب ابن هشام القول بكونها للنداء إلى الفراء، الذي اعتبر أن "يا من هو قانت" وجهٌ محتمل، مستشهدًا باستعمال العرب للنداء بالهمزة كما يستخدمون "يا". غير أن ابن هشام استبعد هذا الوجه، بحجة أن القرآن الكريم لم يرد فيه نداء بغير "يا"، مما يجعل القول بنداء الهمزة ضعيفًا من جهة التواتر النصيّ في الخطاب القرآني. ورغم هذا الاستبعاد، قرّب ابن هشام هذا الوجه من جهة أخرى، بأن جعله أولى من القول بالاستفهام الحقيقي، نظرًا لنزاهة الخطاب الإلهي عن الجهل أو طلب الفهم، وهو ما يجعل الاستفهام – في هذه الحال – مجازيًا، يُراد به معنى بلاغي كالتقريع أو التهكم[7]. ومن الدلائل الأخرى التي جعلت ابن هشام يُرجّح كون الهمزة للنداء، انتقاده للقول بالاستفهام، لما يلزمه من كثرة الحذف، إذ يتطلب هذا القول حذف المعادل والخبر معًا، أي "أم" و"خير"، ليكون التقدير: "أمن هو قانت خير أم هذا الكافر؟"، وهو ما يُفهم من سياق الآية السابقة ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ﴾ [الزمر: 8]. وبناء على هذا، يبدو أن ابن هشام مال إلى القول بنداء الهمزة في هذا الموضع، مع ميله إلى تقوية هذا الوجه بما يتماشى مع خصائص الخطاب القرآني في البناء والتوجيه، بعيدًا عن التعقيد الناتج عن الحذف والتقدير.

مناقشة المسألة وأثرها التفسيري في الآية الكريمة: أشار المفسر الطبري إلى وجود وجهين في قراءة ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾، الأول هو اعتبار الألف في "أمّن" أداة نداء تعني "يا من هو قانت آناء الليل"، مستنداً إلى عرف العرب في استخدام الألف للنداء مثل "يا"، كقوله: "أزيد أقبل"، أو "يا زيد أقبل". وبهذا يكون المعنى[8]: "قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلاً، فأنت من أصحاب النار، ويا من هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً، فأنت من أهل الجنة"[9]. أما الوجه الثاني، فهو النظر إلى الألف على أنها همزة

استفهام، بمعنى: "هل هذا هو الذي جعل لله أنداداً ليضل عن سبيله؟"، معتمدًا على ما أورده من استدلالات لغوية ونحوية تتعلق بتركيب الجملة والسياق القرآني[10] [11]. وقد تلاقت آراء عدد من كبار المفسرين مع وجهة نظر الطبري، فوافقه البغوي والقرطبي والرازي في تقبل هذين الوجهين، بينما استقر الزمخشري على الاستفهام وحده، موضحًا أنه قرأ ﴿أمن هو قانت﴾ بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على "من"، وبالتشديد على إدخال "أم" عليها، مع حذف خبر المبتدأ باعتبار دلالة السياق على ذلك [12]. وهو ما أكده البيضاوي والألوسي وأبو السعود[13] [14]. في المقابل، رأى أبو حيان أن الاستفهام هنا للتقرير، حيث يحمل المخاطب على الإقرار بما هو معروف[15] [16].

وعند العودة إلى أقوال ابن هشام، يتبين أنه لم ينكر إمكان مجيء الهمزة للنداء، مستشهداً ببيت من معلقة امرئ القيس[17]:

"أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التّدلّلِ ... وإن كنتِ قد أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَاجْمِلِي"

مشيرًا إلى أن الشعر ديوان العرب، وحجة لغوية معتبرة. كما نسب القول بجواز النداء بالهمزة للفراء، مؤكدًا أن العرب كانت تستعمل الهمزة أداة نداء، وهو ما يعزز احتمال قراءة التخفيف في الآية والتي قرأ بها عدد من القراء، وتُفسر عند كثير من المفسرين على أنها نداء[18]. ويرد من يقول بعدم وجود نداء بغير "يا" في القرآن بأنه ليس شرطًا حصر أدوات النداء في القرآن الكريم على حرف واحد. أما القول بعدم جواز الاستفهام بحق الله على حقيقته، فقد ذهب إليه بعض المفسرين، لكن ابن عاشور يرى أن الاستفهام قد يخرج عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى كالتوبيخ أو التهكم، مضيفًا أن الاستفهام هنا يشير إلى استنكار وجود صفات التقوى والعبادة مجتمعة في من جعل له أندادًا، وهو أمر لا يتفق مع عقيدة التوحيد[19].

وأما الاعتراض على القول بالاستفهام بسبب كثرة الحذف التي تترتب عليه، فيستدل به على أن تقدير العبارة يتطلب حذف معادل الهمزة والخبر مثل "أمن هو قانت خير

أم كافر"، وهو ما يجعل التفسير أكثر تعقيدًا، وهو ما يعزز تمسك ابن هشام بالوجهين[20]. من حيث الأثر التفسيري، فإن القول بكون الهمزة نداءً يُمكّن من الاحتفاظ بالهمزة بمعناها في باب النداء، موجهًا اللفظ إلى القريب، والذي يحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم، مستندًا إلى فعل الأمر "قل" الذي يليها مباشرة، فيكون المعنى[21]: "يا من أنت قائم آناء الليل ساجدًا وقائمًا، فلا يخشى كفر الكافرين". ويعزز السمين الحلبي هذا الرأي، معتبرًا أن "مَنْ" في النداء هي للنبي (ص).

ومن زاوية أخرى، إن كان النداء موجهاً إلى المؤمن القانت، فإن الهمزة حلت محل الياء التي تدل على البعيد أو من منزلة خاصة، ليكون خطاب الله إلى من تجمع فيه هذه الصفات العظيمة، وهو نوع من التهييج الوجداني والدعوة إلى اليقظة والتأمل، خاصة وأن النداء صادر من الله عز وجل، إذ هو دافع تحذيري وإثباتي في آن معًا، يوضح أن الذي يخلص من الظلم والضلال هو المؤمن المخلص، وأن من يتبعه الكافرون مصيرهم النار[22]. أما القول بالاستفهام، فهو يحمل نفي المساواة بين المؤمن الذي تجمع فيه صفات القانت والساجد، والكافر الذي يجعل لله أندادًا، كما تؤكده الآية التي تليها ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾، حيث يحمل استفهامًا تقريريًا، يجعل المخاطب يقر بتلك الصفات الحسنة التي اجتمعت فيه، وينكر صفات الكافرين، ويظهر ذلك في أسلوب التوبيخ والإنكار لهم، ويحتمل أن يكون تهييجًا بأسلوب التهكم كما بيّن ابن عاشور، إذ التهكم هنا يظهر بعدم مبالاة الله بصفاتهم القبيحة، وتأتي الكناية في وصف المؤمنين لتعظيم شأنهم. باختصار، يتضح من خلال هذا التداول بين المفسرين والنحاة أن الهمزة في هذه الآية يمكن أن تفهم على الوجهين: نداءً يوجه للمؤمن أو استفسارًا تقريريًا يحمل إنكارًا للكافرين، ولكل من هذين الوجهين أثره التفسيري العميق الذي يثري فهمنا للنص القرآني ويعزز البُعد البلاغي في خطابه[23].

2.3- أحكام الهمزة في الشواهد القرآنية: خصص الإمام ابن هشام في كتابه "مغني اللبيب" جملة من الأحكام اللسانية المتعلقة بالهمزة، وكان من بينها ما استند إلى شواهد قرآنية دالة على هذه الأحكام، وبالأخص تلك التي تفيد جواز حذف الهمزة في سياقات معينة. ومن أبرز هذه الشواهد قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفِلِينَ﴾ (سورة الأنعام: 76)، حيث جاء التعبير "هذا ربي" في ثلاث مواضع متكررة ضمن سياق سردي يعبر عن استدلال إبراهيم عليه السلام بأرباب الكفر، وهو في حقيقة الأمر خبر، وهو ما أكده المحققون الذين أجمعوا على أن عبارة "هذا ربي" تمثل خبراً وليس استفهاماً [24]. وهذا يبرهن على دقة وحرص ابن هشام في النقل والتفسير، إذ يميز بوعي بين خطاب الخبر الذي يحتمل الصدق والكذب، وخطاب الإنشاء الذي يشمل الطلب والاستفهام. ففي سياق هذه الآيات، يبرز أن ابن هشام يؤكد جواز حذف الهمزة في حالات الإبقاء على الخبر، لا سيما عندما يتعلق الأمر برواية أقوال خصم، أي من يتكلم على سبيل الحكاية، ويدحض من خلال ذلك حججهم من خلال إبراز بطلان أقوالهم بالدليل القاطع. فالاحتفاظ بعبارة "هذا ربي" على صيغتها الخبرية له دلالة بلاغية وتقريرية ضمنية، إذ تعبر عن موقف الإنكار والردّ على حجج المشركين، الذين ينكرون على إبراهيم عليه السلام، وفي الوقت ذاته يوضح كيف أن الخطاب القرآني يحتفظ بهذه الجملة بصيغتها الخبرية ليبين الحقيقة الواضحة التي لا لبس فيها.

يمكن القول إن تفريق ابن هشام بين الخبر والإنشاء يعكس إدراكاً رفيعاً لطبيعة اللغة العربية، حيث يميز الخبر بوصفه كلاماً قابلاً للصدق والكذب، ويتمثل في إفادة معلومة أو واقعة، على خلاف الإنشاء الذي يعبّر عن إرادة المتكلم، كالطلب، الأمر، أو الاستفهام، وهذا الفهم مهم في تحديد وظيفة الهمزة وحكم حذفها أو بقاءها بحسب السياق. إن إبقاء التعبير بصيغته الخبرية يفسر أيضاً من زاوية تحليل الخطاب باعتباره

استراتيجية بلاغية تؤكد موقف المتكلم (النص القرآني) تجاه الأقوال المنقولة، حيث يتم الاحتفاظ بالصيغ التي تعبر عن قول الخصم على وجه الحكاية، تمهيداً لدحضها لاحقاً بالحجة والدليل، وهو أسلوب يعكس عمق التفاعل النصي بين المتكلم والخصم في إطار الحوار القرآني، ويُبرز أيضاً دقة الاستشهاد القرآني بالشواهد اللغوية للنصوص السابقة[25].

علاوة على ذلك، فإن جواز حذف الهمزة في هذه المواضع يتوافق مع مبدأ الاقتصاد اللغوي الذي يعتمده القرآن في نصوصه، حيث يحكم السياق معنى العبارة ويجعل حذف الهمزة مقبولاً دون إضعاف المعنى أو إحداث لبس، وهذا يتطلب من القارئ والمفسر أن يكون متيقظاً للوظائف الدلالية والبلاغية للكلمات في سياقها. من هنا، فإن هذه المسألة تفتح آفاقاً واسعة للتحليل اللغوي والبلاغي في فهم النص القرآني، حيث لا تقتصر الدراسة على النظرة النحوية البحتة، بل تمتد إلى التأمل في الاستراتيجيات الخطابية التي يستخدمها النص المقدس لتحقيق أهدافه البلاغية والتواصلية، وهو ما يجعل من استقصاء أحكام الهمزة عبر الشواهد القرآنية مسألة حيوية تستحق التمعن والبحث العميق.

مناقشة المسألة وأثرها في التفسير: تحليل آراء المفسرين حول صيغة «هذا ربي»

تتنوع آراء المفسرين في تفسير عبارة ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾، حيث أورد الإمام الطبري رأيين أساسيين في هذا السياق: الأول يفيد بأن العبارة تعبر عن إقرار إبراهيم عليه السلام بعبادة ذلك الكوكب حتى غاب [26]، ثم تنقلب بعد غيابه إلى إنكار ورفض للآلهة العابرة، والثاني يذهب إلى أن العبارة تتضمن استفهاماً إنكارياً، أي "أهذا ربي؟" بصيغة التوبيخ والسخط، كما هو شائع في الخطاب العربي، حيث يمكن حذف الألف التي تدل على الاستفهام لتصبح العبارة على شكل خبري يَحتمل التأويل الاستنكاري. ويُلاحظ أن رأي الطبري هذا لم يكن وحيداً، بل شاركه عدد

من كبار المفسرين كالبغوي، والواحدي، والقرطبي، والخازن، الذين أيدوا إمكانية قراءة الآية بصيغتين[27]: إما خبرية أو استفهامية إنكارية، متكئين في ذلك على السياق اللغوي والدلالي للنص القرآني. بالمقابل، استبعد الزمخشري الاستفهام في هذه الآية، واعتبر العبارة خبرية محضة، حيث قال[28]: "هو قول من ينصف خصمه وهو يعلم ببطلان قوله، فيحكي كلامه كما هو، ثم يرد عليه بالحجة"، موضحًا أن الإبقاء على العبارة بصيغتها الخبرية هو من منطلق أمانة النقل والتزاماً بالحجة العقلية، إذ إن هذا الأسلوب أكثر إقناعًا وفعالية في دحض المزاعم الخاطئة.

أما ابن الجوزي فقد جمع في كلامه بين ثلاثة احتمالات رئيسة للمعنى: الأولى هي اعتبار العبارة على ظاهرها الخبري، والثانية أن إبراهيم قالها استدراجًا وحيلة ليبيّن ضعف آلهتهم ويُظهر بطلانها، والثالثة أن العبارة استفهامية إنكارية، تقديراً لتوظيف الخطاب القرآني لاستراتيجيات البلاغة والتوبيخ. ومن خلال هذه الآراء المتنوعة، يتضح أن جميع التفسيرات واردة وممكنة في ضوء المعنى اللغوي والسياقي للنص، إلا أن القول بأن العبارة خبرية على ظاهرها دون تأويل يواجه إشكاليات عقائدية، لأن نسبة الكفر أو الشك إلى إبراهيم عليه السلام . الذي نزل عليه الوحي وبلغ درجة عالية من اليقين . يعدّ تناقضًا مع مكانته كنبي مُكرّم. وقد استند بعض المفسرين على ذلك إلى آيات أخرى ترفع من منزلته وتثبت يقينه، مثل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِۦ﴾ (الأنعام: 83)، حيث يدل حرف الجر "على" هنا على الاستعلاء والتمكن، مما يؤكد ثبات حجة إبراهيم وصلابتها أمام قومه، فلا يعقل أن يتخذ نفي الحجة منه أو شكها موقفًا له. وعند النظر إلى الهمزة في هذه العبارة، إذا افترضنا كونها همزة استفهام، فإنها تخرج عن غرضها الأصلي، وتنتقل من طلب الفهم البسيط إلى معانٍ أعمق كالسخرية والتهكم، كما عبّر عنها الإمام الرازي، حيث قال: "معناه[29]: هذا ربي

في زعمكم واعتقادكم"، مستدلاً بما يشبهه من قول الموحد للمشرك الساخر، في تعبير استنكاري يفضح بطلان معتقده.

والقول بالاستفهام الإنكاري يتوافق مع سياق نصوص إبراهيم عليه السلام، خصوصًا عند إنكاره لأبيه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام: 74)، حيث يتضح الربط بين هذه الآيات، ويدعم قراءة الهمزة للاستفهام التوبيخي الذي يعبّر عن استنكار إبراهيم لشرك قومه وتمردهم على الحق. هذا النمط البلاغي لم يكن محصورًا في النص القرآني فحسب، بل استُخدم في الشعر العربي القديم، كما في معلقة عمر بن أبي ربيعة التي تضم ألفاظًا مستعملة بنفس الأسلوب الاستفهامي الإنكاري، مما يعزز فكرة حذف الهمزة في السياقات الأدبية، ويجعل المعنى متسقًا مع عرف اللغة العربية. كل وجه من أوجه التأويل السابقة يترك أثرًا تفسيريًا عميقًا، فالرأي الذي يعتبر العبارة خبرية على ظاهرها يوظف العقل والحجة من داخل خطاب الخصم نفسه، ما يعزز من قوة الردّ ودحض الباطل، ويُبرز حسن منهج الدعوة في مواجهة الشك والإنكار بأسلوب حكيم ومتدرج، يعكس عدلاً في الخطاب القرآني، حيث لم يُجابه الخصوم بصراحة قاطعة منذ البداية، بل تم ذلك تدريجيًا وفقًا لمرحلة ووعي المخاطب.

أما الأثر التفسيري للاستفهام الإنكاري فهو يحمل في طياته نفي المساواة بين المؤمن والكافر، وتوبيخًا صريحًا لهم، إذ يُبرز استحالة اجتماع صفات الإيمان والصلاح مع عبادة آلهة متغيرة، غائبة عن تقديم العون والنجدة، الأمر الذي يضع المتلقي أمام سؤالٍ محوري، يدفعه إلى إعادة النظر في عقيدته، ويترك أثرًا نفسيًا ونحويًا حادًا في نفسه، مما يحقق الغرض البلاغي من توجيه الخطاب القرآني. ويُضاف إلى ذلك أن الهمزة الاستفهامية في سياق قصة إبراهيم تتكرر ثلاث مرات، مما يؤكد أهمية الاستفهام في توجيه رسالة التوبيخ والإنكار على مستوى النص، إذ ينتظر إبراهيم من قومه جوابًا

يُدحض به حجتهم أو يؤكد ضعفها، وفي حال الإخفاق يكون ذلك بمثابة هزيمة واضحة لهم، كما يتضح في قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: 80). كما يرى الجرجاني في هذا الأسلوب إنكارًا يهدف إلى إثارة وعي المستمع ودفعه إلى مراجعة نفسه، بحيث يتحقق التردّد والارتداد، وهو مؤشر على عظمة الأسلوب البلاغي في توجيه الخطاب القرآني، وتوظيفه بأسلوب محكم وفعّال في مواجهة إنكار الخصم وتحديه.

من هذا المنطلق، يتبين أن النص القرآني في هذه الآيات يستخدم الهمزة الاستفهامية ليس فقط كأداة لغوية، بل كوسيلة خطابية مركزية في بناء المعنى، وتحقيق التأثير البلاغي والنفسي المطلوب على المستمع، الأمر الذي يجعل من دراسة هذه الظاهرة عبر التحليل اللغوي والنصي مسألة جوهرية في فهم آليات الخطاب القرآني وتفسيره.

4. أحكام الهمزة في الخطاب القرآني بين الحذف، والنفي، والصدارة: تناول ابن هشام في دراسته لأحكام الهمزة عدة جوانب مهمة، منها ما استند فيه إلى نصوص قرآنية، وكان لها أثر بالغ في الفهم البلاغي والتفسيري، وهو ما يكتسب أهمية بالغة في سياق تحليل الخطاب القرآني ودراسة أبعاده اللغوية والدلالية.

1.4-الفرع الأول: جواز حذف الهمزة: أورد ابن هشام آية كدليل على جواز حذف الهمزة، حيث استشهد بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾، مبينًا أن عبارة "هذا ربي" التي وردت في سياق الحكاية عن إبراهيم عليه السلام عند رؤيته للكواكب والأجرام السماوية، هي خبرية في الأساس، وأن من ينطق بها قد يكون معترفًا بها على سبيل الاستدراج أو الاستعارة الحجاجية، في حين أن ثمة توجهات أخرى ترى أنها عبارة عن استفهام إنكاري محذوفة الهمزة. في هذا السياق، أشار ابن

هشام إلى أن العرب قد تحذف الهمزة في بعض المواضع، معتمداً على دقة النقل والتوثيق في نقل آيات القرآن، والتفرقة بين الإنشاء والخبر، فالخبر قول يحتمل الصدق والكذب، وهو ما يجعل هذه العبارة تتسم بمرونة دلالية تسمح بإدخال الحذف أو الإبقاء على الهمزة بحسب السياق البلاغي.

2.4-دخول الهمزة على النفي: وفي جانب آخر، رأى ابن هشام أن الهمزة تدخل على النفي، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ (آل عمران: 165)، حيث تناول قوله "أَوَ لَمَّا" كدليل على ذلك. غير أن دراسة أعمق للظرفية اللغوية تدفع إلى تصحيح هذا التصور، فـ"لمّا" هنا ليست أداة نفي، بل ظرف زمان بمعنى "حين"، أو ما يُعرف اصطلاحًا بالظرف الوجودي، الذي يفيد وقوع الحدث في زمن معين. وقد أكد الطبري في تفسيره أن "لمّا" في هذا الموضع ظرف زمان بمعنى "حين"، وهو الرأي الذي أجمع عليه جمهور المفسرين والنحاة. ويُعتبر الخطأ الذي وقع فيه ابن هشام في هذا الشأن من قبيل الزلل الذي يمكن تجاوزُه، خصوصًا مع اعتذاره في مقدمته حول احتمال الخطأ في بعض المسائل اللغوية. وهذا التوضيح يضفي دقة لغوية ويُصحح من الفهم الخاطئ الذي قد ينشأ عند الجمع بين "الهمزة" والنفي في هذا الإطار.

3.4-الهمزة وحق الصدارة في الجملة: أبرز ابن هشام كذلك خصيصة هامة للهمزة في موقعها ضمن تركيب الجملة، وهي حقها في الصدارة، بمعنى أنها تتقدم على غيرها من الحروف ولا تسبق بأي حرف آخر في بداية الكلام، وهو حكم مستقر في النحو العربي. وقد ساق الدليل الأول على ذلك من كون الهمزة لا تذكر بعد "أم" التي تستخدم في الإضراب، فعلى سبيل المثال لا تقول "أقام زيد أم أقعد"، وإنما تقول "أم هل قعد؟"، مما يدل على أن الهمزة تحتل موقعًا خاصًا لا يمكن تجاوزه. أما الدليل الثاني، فهو أن الهمزة حين تأتي في جملة معطوفة على أخرى بحروف العطف كالواو أو الفاء أو "ثم"،

فإنها تتقدم على الجملة المعطوفة عليها، وهو ما يوحي بأصالتها في موقع الصدارة. يستشهد ابن هشام بآيات قرآنية منها: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (غافر: 10) ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ (آل عمران: 19) وغيرها، حيث تتأخر الجمل المعطوفة في الوقع عن الهمزة ذاتها. هذا الرأي كان مذهب سيبويه والجمهور من النحاة، لكنهم اختلفوا مع فريق من العلماء من أمثال الزمخشري، الذي يرى أن الهمزة في مثل هذه المواقع تبقى في محلها الطبيعي ولا تقدم على الجملة المعطوفة عليها، معللين ذلك بوجود جملة محذوفة بين الجملتين المعطوفتين.

ومع أن هذا القول يحمل نوعًا من التكلف اللغوي ونقص التعميم، إلا أنه لم يخل من محاولة إيجاد تفسير بديل لتقديم الهمزة، فقد اعتبر الزمخشري أن التقديم يكون لأجل التنبيه أو لتعليق المعنى، لكنه مع ذلك أقر بصعوبة تطبيق هذا الرأي على جميع المواضع، مستشهداً بآيات مثل: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الرعد: 31) حيث يراه من غير الممكن تقديم الهمزة. وفيما يخص الجمل المعطوفة، أشار الزمخشري إلى جواز تأويلها على أن العطف يكون على جملة محذوفة تقديرها، مثل قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ (آل عمران: 83) حيث تدخل همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة، وهو تفسير يفتح بابًا لفهمٍ أعمق للتركيب النصي. إن تناول ابن هشام لهذه الأحكام يعكس بُعدًا عميقًا في فهم الظواهر اللغوية والبلاغية التي توظفها النصوص القرآنية، ويُبرز أهمية الهمزة كأداة في توجيه الخطاب وتحقيق أهدافه الإيصالية، سواء من خلال الحذف أو التقديم أو التفاعل مع أدوات النفي والاستفهام[30]. هذا التحليل يفتح أمام الباحثين آفاقًا واسعة لدراسة التداخل بين القواعد النحوية والصيغ البلاغية في القرآن الكريم، ويدعو إلى توخي الدقة في فهم تركيب النصوص، مع احترام خصوصية سياق كل آية، وهو ما يعزز من عمق وثراء الدراسات القرآنية وتحليل الخطاب بشكل عام.

توضيح كلام ابن هشام حول تمام صدارة الهمزة في البناء اللغوي: أكد ابن هشام في بحثه اللغوي أنَّ الهمزة تحتل منزلة خاصة ومرموقة في ترتيب الكلام، حيث لها حقٌّ تمام الصدارة، فلا يجوز أن يسبقها في بداية الجملة أي عنصر لغوي آخر. ويستند ابن هشام في هذا التأكيد إلى منطق لغوي رصين[31]، يقوم على التمييز بين حالة الهمزة وأدوات الاستفهام الأخرى، التي تتمتع فقط بحق الصدارة دون تمتعها بتلك الكمالة التي تجعلها بلا منازع في صدور الكلام. فلو أُخرت الهمزة عن موقعها الأول، يتحول تركيب الكلام من حالة الإنشاء المباشر إلى خبرية أو غيرها، وهو ما يتعارض مع مقاصد النص القرآني التي تتطلب وضوح التوجه الأسلوبي وقوة التأثير[32].

وقد استدل ابن هشام على هذا الحكم بدليلين بليغين يعززان موقع الهمزة في رأس الكلام:

الأول: أنَّ الهمزة لا تُذكر ولا تأتي بعد أداة الإضراب الانتقالي "أم" التي تُستخدم لإثارة الانتباه والتنقل بين الاحتمالات، وهو ما يخالف سلوك أدوات الاستفهام الأخرى، التي يجوز لها أن تأتي بعد "أم"، مما يميز الهمزة ويجعلها أسبق في الأداء اللغوي[33].

والثاني: أن الهمزة تتقدم على حروف العطف، مثل الواو والفاء و"ثم"، التي ترتب الجمل والمعاني في سياقها، فتكون الهمزة في مقدمة الجملة المعطوفة، مما يدل على أصالتها في التصدير وخصوصيتها في ضبط إيقاع الخطاب[34].

ونسب ابن هشام هذا الرأي إلى سيبويه والجمهور من النحاة، معتبرًا أن هذا المذهب يُعدَّ الأرجح من الناحية اللغوية والبلاغية، حيث يتفق مع طبيعة تركيب اللغة العربية التي تحكمها قواعد صارمة تحدد أدوار الحروف والكلمات في تنظيم الكلام ووضوح معانيه. على النقيض، فقد خالف الزمخشري هذا المذهب، حيث ذهب إلى أن الهمزة في هذه المواقع لا تتصدر الكلام حقيقةً، بل هي معطوفة على جملة محذوفة تقديرها "أمكثوا فلم يسيروا في الأرض" أو ما شابهها، معتبرًا أن العطف على جملة

محذوفة يفسر ترتيب الهمزة في الكلام. وهذا التفسير يحمل نوعًا من التعقيد اللغوي والتكلف في التقدير، إذ يفترض حذف جمل كاملة غير موجودة نصًّا، وهو ما لا يتسم بالسلاسة أو التكرار في كافة المواضع القرآنية. وبتأمل دقيق، يضع ابن هشام هذا الرأي موضع شك، معززًا موقفه الضعيف هذا بحجتين رئيسيتين[35]:

الأولى: أن الأصل اللغوي المنطقي يمنع الحذف المُفرط، إذ لا يُحتمل أن تكون جميع هذه المواضع تخضع لحذف جملة كاملة غير مذكورة، فمثل هذا الحذف لا يحقق الانتظام اللغوي المطلوب، ولا يتسق مع طبيعة النص القرآني، الذي يتسم بالوضوح والدقة في العرض.

والثانية: أن قاعدة عدم التكرار وعدم الإضافة عند الجمهور تفيد أن تقديم الهمزة على الجملة السابقة هو أمر يسير وأقل تعقيدًا، فالجمهور لا يضيفون شيئًا جديدًا على الكلام بخلاف الزمخشري الذي يفترض جملة محذوفة، ما يضاعف من صعوبة الفهم ويخالف قاعدة الاقتصاد في اللغة[36].

وفي رد على اعتراض الزمخشري ومن تبعه بأن الجمهور افترضوا وجود جملة قبل الهمزة مما يجعل تقديم الهمزة مشروطًا، يرد ابن هشام بذكاء، بأن وجود آية سابقة توفي هذا الشرط، إذ تكفي تلك الآية السابقة لتكون معطوفة عليها الهمزة، فلا حاجة إلى تقدير محذوف، وهذا يرسخ نظرية الجمهور ويضعف فرضية الزمخشري. وإن دققنا في أقوال ابن هشام، نرى أنه يشير إلى تناقض في مواقف الزمخشري ذاته، حيث أحيانًا يتفق مع الجمهور على عدم تقدير محذوف، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (الأعراف:97)، وأحيانًا يجمع بين القولين، مفسحًا المجال لتقبل الوجهين، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ (آل عمران: 83)، حيث دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة، وقد يكون العطف على جملة محذوفة[37]. وهذا التذبذب في موقف الزمخشري يثبت أن رأي الجمهور منسجم أكثر مع روح اللغة

ونظام الخطاب القرآني، الذي يحرص على الوضوح والاقتصاد، ويبتعد عن التكلف اللغوي المفرط. إن استعراض ابن هشام لهذه القضية يبرز مكانة الهمزة في تركيب الجملة العربية، ويُظهر حرصه على تأكيد قواعد اللغة التي تحكم انسيابية الخطاب، وهو ما يُسهم في فهم أعمق للبلاغة القرآنية ولغة النص المقدس. فتمام صدارة الهمزة ليس مجرد قاعدة نحوية، بل هو تعبير عن توازن دقيق بين التركيب والمعنى، وضمن ذلك ينبثق التفاعل النصي بين البناء اللغوي والهدف البلاغي. وقد أثبت هذا التحليل أن مناحي الخطاب القرآني لا تخلو من تنوعٍ تركيبِي وفنيّ، يستوجب من الباحث العميق النظر في التفاصيل الدقيقة التي تضبط إيقاع النص، وتضفي عليه ذلك الجمال الذي يتسم به القرآن الكريم[38].

مناقشة المسألة وأثرها في التفسير: وجهتا النظر حول الهمزة في ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ (آل عمران: 83). ينطلق الباحثان في هذه المسألة من تفسير الآية الكريمة: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾، التي أثارت جدلًا تأويليًا بين المفسرين واللغويين، حيث أجاز الزمخشري الوجهين في تناول تركيب الهمزة مع الفاء العاطفة؛ إذ قال بأنّ همزة الإنكار دخلت على الفاء العاطفة جملة على جملة، بمعنى: «فأولئك هم الفاسقون، فغير دين الله يبغون». وفي مقابل ذلك، جاز له أن يعطف على جملة محذوفة تقديرها: «أيتولون، فغير دين الله يبغون». وقد وجد هذا التفسير قبولاً عند طائفة من كبار المفسرين، منهم الإمام الرازي والبيضاوي والواحدي والنسفي وأبي السعود، الذين تبنّوا جانب الزمخشري من التقدير، مع تقديم القرينة التي تسمح بالحذف والتقدير ضمن السياق. أما فريق آخر، كأبي حيان وابن جزئ وابن عاشور، فقد مال إلى الوجه الواحد في تفسير هذه الآية، معتبرين أن العطف جملة على جملة دون حاجة إلى تقدير محذوف، مبرزين بذلك بساطة التركيب ووضوح الخطاب القرآني. لكل من هذين الوجهين مستندات قوية، وجانب بلاغي مميز، ما يجعل الخلاف حولهما متجذرًا في عمق اللغة والبلاغة. وقبل

الخوض في عمق هذا الخلاف، لا بد من العودة إلى كلام ابن هشام الذي سبق أن ضعف رأي الزمخشري، مستندًا إلى سببين رئيسيين[39]: الأول، ما رآه من تكلف مفرط في تقدير الحذف المتكرر الذي لا يستند إلى دليل نصي قوي، والثاني، ما اعتبره من ضعف في تطبيق الزمخشري لقاعدة عدم الإطناب في تقدير المحذوف، إذ أن الحفاظ على مكانة الهمزة والعاطف أمر ضروري لاستقرار بناء الجملة. لكنّ الرد على ابن هشام يكمن في أن ذلك المحذوف «أيتولون» ليس وهمًا أو تكلفًا، بل هو مما يقتضيه معنى الآية نفسه، ومن ثمّ فهو في محله اللغوي والبلاغي[40]. أما مسألة عدم مطردية التقدير من وجهة نظر ابن هشام، فلا تمثل عائقًا جادًا أمام قبول وجهة الزمخشري، خصوصًا وأن مسألة العطف محل توافق بين سيبويه والزمخشري، وإن اختلفا في تفاصيل تطبيقها، حيث يرى سيبويه أن العطف يكون على شيء مذكور صراحةً، في حين يعطف الزمخشري على ما هو مقدر غير مذكور نصًا، وهو وجه جائز لغويًا وفهميًا[41]. وفي هذا الإطار، فإن كلتا القراءتين تحملان أبعادًا تفسيرية عميقة، لكل منهما أثره الخطابي الخاص[42]. فعلى سبيل المثال، من تبنى العطف جملة على جملة يرى أن سياق الآيات المتعلقة بأهل الكتاب – كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 71) – يؤكد على انحرافهم عن الحق، واستحقاقهم لوصف الفسق والفجور، إذ هم الذين تولوا عن دين الله واختاروا غيره. هكذا، تصبح وصفة «الفاسقين» متجددة وجلية لكل من نكر دين الله ونقض العهد، ويدخل في دائرة الإدانة والتوبيخ الإلهي، بتكرار المعنى وتفخيم الذمّ لهم، وهذا يحقق جمالية الخطاب في التنوع والوضوح[43].

أما الوجه الثاني، بتقدير المحذوف كما عند الزمخشري، فيحمل بعدًا آخر من الإنكار والتوبيخ اللغوي المحكم، إذ يبدأ بـ «أيتولون» كفعل محذوف له ثقل دلالي، يعقب عليه بقوله «فغير دين الله يبغون»، وبذلك يتم تقديم المفعول (غير دين الله) على

الفعل (يتولون)، وهو ترتيب منطقي بليغ يبرز محور الإنكار، إذ يوجّه الغرض الخطابي إلى المعبود الباطل نفسه، مركّزًا على القطيعة الحاسمة مع كل ما سوى دين الله، بغية التنديد بكل الأديان التي تخالف الإسلام[44]. ومن هنا، فإن هذا التقدير يخدم أيضًا مفهوم توحيد الدعوة وأصالتها، وينسجم مع قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: 85)، موضحًا أن هذه الإنكار والتوبيخ موجّهان لمن لم يتخذ الإسلام دينًا، أو لمن كفر بنبوة أحد الأنبياء، إذ أن الدعوة واحدة، والدين واحد، مما يعمّق الخطاب القرآني في إظهار وحدة الرسالة وصيرورتها الصلبة. وبالتالي، يظلّ الخلاف في تفسير هذه الآية نابعًا من اختلاف النظرة الخطابية، وليس من تعارض لغوي أو نحوي جوهري، فكل من الرأيين يتكامل مع بنيان النص ويخدم دلالته، سواء من خلال تظهير التعدد والتنوع في المواقف القرآنية تجاه أهل الكتاب، أو عبر التركيز على عمق الإنكار على الابتداع في الدين والبعد عن التوحيد[45]. ويجدر بنا الإشارة إلى أن كل وجهة تفسيرية من هذه الوجوه تشكّل نافذة فريدة لإدراك ثراء النص القرآني وبلاغته المحكمة، حيث تلتقي اللغة مع الخطاب، والتفسير مع البلاغة، لتثمر قراءة متكاملة تستوعب تنوع الأساليب اللغوية، وتقدير محكم لا يخلو من بلاغة ولا من عمق روحي، يؤكد على أن الخطاب القرآني ليس مجرد نص بل هو فن متكامل يحاكي العقول والقلوب، ويدعو إلى التأمل والتدبر[46].

5.الهمزة ودورها المجازي في صياغة التسوية الخطابية: يُشير ابن هشام في سياق بحثه إلى أن الهمزة الاستفهامية تخرج عن معناها الأصلي، وهو طلب الفهم، لتكتسب دلالات مجازية متعددة يمكن إدراكها فقط عبر القراءة المتأنية للسياق، ويفصّل ذلك في ثمانية معانٍ أبرزها التسوية التي سنقف عندها بالتفصيل[47].

1.5-التسوية بين الأمرين في النص القرآني: دراسة في دلالة الهمزة: من أبرز الشواهد القرآنيّة التي استدل بها ابن هشام على معنى التسوية، قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (المنافقون: 6) حيث تتجلّى الهمزة هنا داخل تركيبٍ نصي يُمكن فيه للمصدر أن يحل محلها، مثل «استغفارك» وعدمه، مما يشي بثبات وحسم الحالة الموصوفة، إذ التسوية بين الفعلين (الاستغفار وعدم الاستغفار) تمثل تأكيدًا على ثبات النتيجة التي تتمثّل بعدم مغفرة الله للمنافقين مهما كانت المواقف[48].

2.5-بعد الهمزة عن طلب الفهم: التأسيس للمجاز التسويي: إن ما قصده ابن هشام هنا، ومن خلال سياقه، أن الهمزة والفعل المرافق لها في هذه الآية يمكن استبدالهما بمصدر يدلّ على التجانس والتساوي، كقولنا: «استغفارك وعدم استغفارك سواء»، أو بمعنى أن الأمرين متساويان في النتيجة، فلا فرق بين أن يستغفر الرسول لهم أو لا، لأن المصير واحد. وهذا الأسلوب يدعم تأكيد النصّ على ثبات حكم الله بعدم هداية القوم الفاسقين، حيث تُوضَع صفاتهم «عليهم» – أي في حكم مطلق – في منزلة الثبات والتمكن، ويظهر ذلك في وصفهم بالنفاق والفسق المستمر[49].

3.5-التأويل التفسيري: الهمزة بوصفها أداة للتكافؤ والنفي: اتفق المفسرون والنحاة والبلاغيون على أن هذه الهمزة لا تؤدي وظيفة الاستفهام الحقيقي، بل تمثّل أداة تسوية، وهو رأي مستند ومؤصل، كما أكّد (ابن هشام)، والذي يقتضي من الناحية البلاغية أن يتحول خطاب الآية إلى صياغة تكافؤية محكمة بين حالتين متضادتين؛ فالأمر لا يتعلق بالسؤال أو الطلب، بل هو إعلان حالة ثبات مطلقة واستحالة تغييرها. ومن الناحية التفسيرية، يؤدي هذا التغيير في وظيفة الهمزة إلى ترسيخ معنى التيئيس من استغفار الرسول للمنافقين، بحيث يصبح الاستغفار أو تركه سواءً لا فرق فيهما، باعتبار أن القوم وصلوا إلى درجة من الفسق والنفاق والضلال التي تجعل من مسألة المغفرة

منقوصة جدًّا أو معدومة[50]. وهذا ما يؤكده «على» في قوله تعالى «سوى عليهم»، بمعنى أن الوصف ثابت فيهم لا يتغير، إذ إنهم متمكنون من تلك الصفة الرذيلة التي هي النفاق.

4.5-الإطار البلاغي والتحليلي: رسالة النصّ في ثبات الحكم الإلهي: تُجسّد هذه الهمزة المجازية صرامة الخطاب القرآني الذي يعبّر عن استقرار الحكم الإلهي بخصوص حال المنافقين، حيث يتساوى فعل الاستغفار وتركه، ويصبح كل شيء «سواء» في التأثير والنتيجة[51]. هذه التسوية جاءت لتبيّن جمود حال المنافقين واستحالة الهداية لهم، فالأمر عندهم قد استوى، سواء أظهروا الإيمان أو غيّبوه، سواء أذعنوا أو عنادوا، ولا تبدّل في موقفهم أو في عاقبة أمرهم. وهذا يعكس جانبًا بارزًا من فن الخطاب القرآني، إذ يُوظّف المجاز والتقنيات اللغوية لخدمة المعنى، والتأكيد على حالات التصلب والجمود الأخلاقي، عبر أدوات لغوية تتخطى دلالتها الأصيلة، وتتمدد في نطاقها التأويلي، لتعكس أبعادًا روحية وأخلاقية عميقة[52].

5.5-المفهوم البلاغي للهمزة الاستفهامية في إطار الإنكار الإبطالي: يُبرز ابن هشام جانبًا مهمًا في دراسة الهمزة الاستفهامية، حيث يحدد معانٍ مجازية للخروج بها من معناها الأصلي، من بينها الإنكار الإبطالي، الذي يفيد نفياً قاطعاً لوقوع ما بعد الهمزة، مع تحميل مدعيه صفة الكذب والبهتان[53]. وقد استدلّ ابن هشام على هذا المعنى بشواهد قرآنية ذات دلالات خطابية دقيقة، منها قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُم رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (الإسراء: 40). وفي موضع آخر يستشهد بآية من سورة الحجرات: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوه ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات:12).

6.5-توضيح المقصد البلاغي لابن هشام: يُبين ابن هشام أنَّ الهمزة في هذا السياق تدخل على فعل غير محقق واقعًا، أي إن مدعاه غير صحيح، وكأن السائل ينكر على المخاطب كذب ادعائه، ويُظهِر هذا الإنكار قسوة المعنى وجديته. أما في الشاهد الآخر من سورة الحجرات، فيتراوح التفسير بين الإنكار والتقرير، ما يُبرز غنى النصّ وثراء دلالاته، حيث تتداخل أوجه التفسير تبعًا لسياق الخطاب[54].

7.5-مناقشة التفسيرات وآثارها الدلالية في النص القرآني: اتفق غالبية المفسرين والنحاة على أن الهمزة في آية الإسراء تأتي على سبيل الإنكار الإبطالي، مما يدل على رفض قاطع وادعاء بعدم صحة ما جاء بعد الهمزة، وهو افتراض جعل الله سبحانه وتعالى خصائص الأبناء للبشر وجعل البنات لله، وهو قول باطل يكشف عن جهل عميق وادعاء باطل. أما آية الحجرات فقد اختلفت آراء المفسرين والنحاة في تأويل الهمزة فيها؛ فبينما يرى الجمهور أن الهمزة تُستخدم للتقرير، أي للتأكيد على كراهية الفعل، ذهب الرازي وابن عاشور إلى أن الهمزة ذات طابع إنكاري، حيث توجه توبيخًا صارمًا لمخالفّي الأدب ومرتكبي هذا الفعل الخبيث، وتمدح التحذير من هذه الكبيرة وتوبيخ محبّيها، مبرزين تناقض المدعي الفعلي لهذا الذم، الذي يظهر كاذبًا في ادعائه.

8.5-الأثر التفسيري للإنكار الإبطالي في آية الإسراء: تُبرهن هذه الهمزة الإبطالية على قوة اللهجة الإنكارية في القرآن، حيث ينكر الله على قومه الكفر والباطل المتمثل في اعتقادهم بأن الله اتخذ أبناء، وهذا إنكار مباشر لهم مع إظهار البطلان الصريح لكلامهم، بما يجعلهم في حيرة بين مواجهة حقيقة اتّهامهم بالكذب عند خالقهم وأمام الناس. ويكمن في الفعل «أصفاكم» دلالة متعمقة، فهو يعني اختصاصكم وتمييزكم بصفة غير مستحقة، في حين أنَّ البنات "لله"، مما يُبرز تناقضًا صارخًا في ادعائهم، ولا يُمكن لأي عقل سليم قبوله[55]. تكتمل الصورة البلاغية بتعزيز الإنكار بشدة مع العطف على فعل «اتخذ»، الذي يُظهر تكاملية خطورة الادعاء، وإمعانًا في البطلان،

في بيئة خطابية تتسم بالتأكيد على التوحيد ونفي الشرك. ويُضيف الزمخشري توضيحًا مهمًا في هذا السياق، حيث يؤكد أن قولهم «اتخذ الله أولادًا» فيه إلحاق لله بجسمية مرفوضة، لأن الولد خاصة بالأجسام، وهذا مناقض تمامًا لصفات الله، مما يزيد من حجم الإنكار. كما يُشير ابن عاشور إلى أن حرف الباء في «أصفاكم» يعبر عن التعدية والاختصاص، أي جعل الأبناء خاصة بالبشر دون الله، وهو نوع من الغلو الباطل والتفضيل الذي ينافي حقيقة التوحيد[56].

وجه التفسير في آية الحجرات: إنكار أم تقرير؟

بالنسبة لآية الحجرات، فإن ثنائية التأويل تُعكس في تعدد الوظائف البلاغية للهمزة، فبعض المفسرين يرونها أداة تقرير وتأكيد على الكراهية، مستدلين بأن المعنى المنطقي يتوافق مع تهيئة المستمع ليتجنب هذا الفعل القبيح، وكأن الخطاب ينزع اعترافًا ضمنيًا من المغتاب بتحقير فعل الغيبة قبل وقوعه. في المقابل، يرى آخرون، منهم الرازي وابن عاشور، أن الهمزة تأتي في صيغة إنكار وتوبيخ صارم، يفضح تناقض المدعي على نفسه، حيث ينكر على المغتاب محبته لفعل مذموم كأكل لحم أخيه الميت، وهذا الانكار يضع اللوم على السلوك ويدينه[57].

الخلاصة: وظائف الهمزة بين المجاز والتأويل البلاغي

هكذا يتضح أن الهمزة الاستفهامية في سياق الإنكار الإبطالي تخرج من حدود السؤال التقليدي لتصبح أداة بلاغية تنفذ إلى جوهر الخطاب القرآني، تعكس نفيًا قاطعًا للواقع، وترصد الكذب والبهتان في أقوال المخاطبين، مما يعزز من قوة النص الإقناعية، ويرسخ موقفه من المخالفات العقائدية والأخلاقية. إن هذا التنوع في التأويل بين الإنكار والتقرير، والانتقال من الوظيفة الحقيقية إلى المجازية، هو ما يمنح الخطاب القرآني

مرونته وقدرته الفريدة على مخاطبة المتلقين بأكثر من أسلوب، وفقًا للسياق وهدف الرسالة، بما يخدم التوجيه والتربية والإنذار، ضمن بناء بلاغي متقن ومتعدد الأبعاد[58].

6.همزة الاستفهام في سياق الإنكار التوبيخي: في سياق دراسة الهمزة الاستفهامية خارج دائرة طلب الفهم الحقيقي، يُبرز ابن هشام معنى ثالثًا، هو الإنكار التوبيخي، الذي يفيد وقوع الفعل محل الاستفهام، لكن الفاعل عليه لوم وعقاب أخلاقي وشرعي[59]. ويُعدّ هذا الاستخدام بمثابة عتاب وتهديد، ينطوي على نهي غير مباشر، وتحذير صريح من السلوك المذموم. ويُستشهد على ذلك بآيةٍ قرآنية واضحة في سورة النساء: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (النساء: 20). وقد حدد ابن هشام موضع الشاهد في الهمزة الاستفهامية في قوله تعالى: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ﴾، حيث تظهر الهمزة في هذا الفعل الاستفهامي ذروة الانفعال التوبيخي.

1.6-توضيح معنوي وموقف ابن هشام: يتضح من التحليل أن هذه الهمزة تختلف عن تلك في الإنكار الإبطالي، فهناك الفعل لم يقع أصلاً، بينما في الإنكار التوبيخي هو فعل واقع، إلا أن فاعله معرض للذم واللوم. فكما يبين ابن الحاجب، فإن هذا النوع من الإنكار يكون مرتبطًا بشرط المستقبل، فتأتي الهمزة على فعل مضارع للدلالة على التوبيخ والتحذير من استمرار الفعل أو تكراره، وهو ما يتضح جليًا في هذه الآية الكريمة[60].

2.6-مناقشة المسألة وأثرها التفسيري والخطابي: توحدت آراء المفسرين والنحاة، قبل ابن هشام وبعده، على اعتبار هذه الهمزة تعبيرًا عن الإنكار التوبيخي، وهو ما يحمل دلالة عميقة في مضامين النص القرآني. إذ لا تقتصر الهمزة على مجرد استفهام، بل تتحول إلى آلية بلاغية تقوم بدور العتاب واللوم، تحث المخاطب على مراجعة نفسه، وتجعل منه عرضة للعقاب أمام الله وأمام المجتمع. فالاستفهام هنا يحمل بعدًا نفسيًا

مركبًا، يضع المتلقي في حالة من الدهشة والارتباك أمام فعل مشين، وهو "أخذ المهر"، حتى وإن كان كثيرًا، فهو هنا بهتان وإثم مبين، وصف يحمل في طياته من التشديد والذم ما يكفي لمنع تكرار هذا الفعل الجاهلي. وفي ذلك تجسيد لدور الخطاب القرآني كموجه أخلاقي وقانوني، يرفض الاستمرار في الظلم الاجتماعي[61]. كما تكشف الدلالة اللغوية لكلمة "بهت" عن مستويات متعددة من المعنى؛ فهي تشير إلى الدهشة والحيرة، لكنها في سياق الآية تكتسب معنى أعمق يتمثل في "الكذب والافتراء"، وهو ما يعمق شعور الإدانة على من يستولي على حقوق الآخرين بغير حق، ويُفضي إلى موقف من الشك والريبة في نفسه قبل الآخرين، ليجد نفسه بلا جواب مقنع أمام ذمّ الله.

3.6-البعد الخطابي والبلاغي: من الناحية الخطابية، تُجسد الهمزة التوبيخية صيغة خطابية فريدة تتوسط بين الاستفهام والاستنكار، إذ تحوّل سؤال الاستفهام إلى أداة تحذير قوية، تصوغ خطابًا موجعًا بلسان ناعق باللوم والعتاب. وتُظهر هذه الهمزة وظيفة الحوار الداخلي للمخاطب، وتستثير ضميره، مستعيرة قوة الخطاب المباشر في التربية على القيم، وتأكيد المسؤولية الفردية والاجتماعية[62]. وقد نجح الخطاب القرآني هنا في إحداث قفزة نوعية في أسلوب النقد، لا تقتصر على توجيه اللوم فحسب، بل تصنع حالة من الردع النفسي الاجتماعي، تمنع استمرارية هذا السلوك المذموم، في إطار علاقة التفاعل بين النص والمستقبل، بحيث لا يقتصر الخطاب على الإدانة بل يفتح آفاقًا للإصلاح والتوبة.

الخلاصة: إن دراسة الهمزة الاستفهامية في إطار الإنكار التوبيخي تكشف عن قوة الخطاب القرآني في التنويع البلاغي، حيث يستثمر الوسائل اللغوية لنقل مشاعر الرفض والاستنكار، مع إبراز واقع الفعل المذموم ومحاسبة الفاعل عليه، بما يعزز البنية الأخلاقية للنص ويغرس القيم في نفس المتلقي بأسلوب دقيق وفاعلية متناهية[63].

7. همزة الاستفهام في مقام التقرير والإنكار – قراءة بلاغية وتحليلية: يتضح من تفسير ابن هشام أن همزة الاستفهام في هذا السياق لا تقتصر على طلب الفهم أو السؤال المجرد، بل تحمل دلالة أعمق وأثقل وقعًا في سياق الخطاب القرآني، حيث تُحمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد ثبت وقوعه أو نفيه. وما يميز هذا الاستخدام البلاغي أنَّ الشيء المستفهم عنه – سواء كان فعلًا أو فاعلًا أو مفعولًا به – يأتي بعد الهمزة مباشرة، ويشكّل محورًا أساسيًا في التعبير القرآني. غير أن الجرجاني، من أبرز علماء المعاني، يُبدِي نقدًا لاذعًا لمن يكتفون بتفسير هذا التقديم على أنه "للعناية" فقط، إذ يرى أن هذا التفسير السطحي قد قيد قدر الإبداع البلاغي وأضعف من قدر النص؛ لأنه لم يكشف عن السر النحوي والبلاغي الكامن وراء هذا التقديم، ولم يُبرز الأهمية الحقيقية لما يُقدَّم، ولا السياق الذي يولّد هذه العناية. فهو يُحذّر من تسطيح القضية وتقليل شأنها في نفوس المتلقين، متى ما ظنوا أن التقديم والتأخير مجرد مسألة ترتيبية لا أكثر[64].

1.7-التأمل في الشاهد القرآني: سورة الأنبياء نموذجًا: يفتح سياق آيات سورة الأنبياء نافذة عميقة لفهم هذه الظاهرة، حيث يقول تعالى: ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: 62). هذه الهمزة ليست استفهامًا عن وقوع الفعل، فقد بات معروفًا لدى المخاطبين أن إبراهيم عليه السلام هو الفاعل، بل هي تقرير يُراد به إثبات الفعل عليه، وإلزام القوم بالحجة، وإظهار ما بينهم من مسؤولية. لقد تعمق ابن هشام في هذا الرأي، مائلًا إلى أن الاستفهام هنا تقرير لا مجرد سؤال، مؤكدًا أن الفعل "حطم الأصنام" قد وقع وانتهى، ولذلك كان الاستفهام لأجل التقرير لا للتحقق[65]. هذا التفسير ينسجم تمامًا مع السياق العام للآيات التي تسبق وتلي هذا الموضع، حيث جاء التهديد والتوبيخ، ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ (الأنبياء: 57)، وكذلك قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: 60). فالآيات تشكل وحدة متماسكة،

تضع بين أيدينا مَشهدًا تقريريًا، يُجسد المواجهة الحاسمة بين الحق والباطل، ويُبرز فصاحة أسلوب التقريري القرآني، الذي يستهدف إظهار براءة النبي، وتحميل القوم مسؤولية إيمانهم أو تكذيبهم[66].

2.7-بين تقرير إبراهيم عليهم وحججهم المتداعية: والاستفهام هنا لا يعني الجهل، بل يُراد به الإلزام والتقرير، وأبلغ في ذلك ما بيّنه الزمخشري بقوله: "إن قصد إبراهيم عليه السلام لم يكن أن ينسب الفعل إلى الأصنام، بل أراد تقريره لنفسه، وإثباته لهم على أسلوب تعريضي، يبلّغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم، كأن يقول لصاحب كتب بخط جميل وأنت تجيده: أأنت كتبت هذا؟ ثم يرد عليه بقوله: بل كتبته أنت، فيكون القصد التقرير مع الاستهزاء، لا النفي والإثبات للغير". هذه القرينة البلاغية تضيء على بُعد عميق في طبيعة الخطاب القرآني، الذي لا يكتفي بالإخبار أو السؤال، بل يدمج التقريري مع السخرية البلاغية، ويستثمر في «الأسلوب التعريضي» – وهو من أسمى فنون الخطاب العربي – لإحداث تأثير نفسي ونقد اجتماعي فاعل[67].

3.7-قراءة في آية البقرة: بين الإنكار والتقرير: على نحوٍ مختلف، لكن متكامل، تأتي آية من سورة البقرة: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 106). يفسر الزمخشري هذه الهمزة في موضعها على أنها تقرير، واعتبر النفي المنسوب لما بعد الهمزة (النسخ والنسيان) هو المراد، أما ما بعدها فهو مثبت. لكن ابن هشام يرى أن المعنى الأوفق هو أن تُحمل الهمزة على الإنكار التوبيخي، أي: ألم تعلم أيها المنكر لنسخ الآيات قدرة الله المطلقة؟ وهنا يظهر جمال التداخل البلاغي بين أشكال الخطاب؛ فالهمزة في ظاهرها استفهام، لكنها تتحول إلى أداة إنكار، تجمع بين التوبيخ والتأكيد، فتوقع المخاطب في مواجهة بين جهله وتكذيبه، وتُظهر تناقض موقفه بين الإنكار والإقرار الضمني.

4.7-البُعد الخطابي والبلاغي: من الناحية الخطابية، يستثمر الخطاب القرآني هذه الهمزة الاستفهامية – سواء في التقرير أو الإنكار – في صياغة خطابٍ تفاعلي قويّ، يُفعّل دافع الإقرار والتصحيح لدى المخاطب. ففي استخدامها تقريرًا، تتحول الهمزة إلى أداة ضغط إقناعي تحمل مخاطبها على اعتراف علني، وفي استخدامها إنكارًا تُحرّض على التفكر ومراجعة المواقف، كما تُظهر صلابة الخطاب في مواجهة الشك والإنكار[68]. هذا الأسلوب البلاغي يؤكد قدرة النص القرآني على التكيّف مع السياقات المتعددة، واستخدام تقنيات لغوية متقدمة لتوجيه الخطاب بشكل فعال، مستثمراً التقديم والترتيب في الكلام، والتوظيف الدقيق للعناصر اللغوية، لإثارة المشاعر والأفكار في آن واحد. يتضح من ذلك أن همزة الاستفهام في هذا السياق ليست مجرد أداة نحوية عادية، بل هي عنصر بلاغي مركب ومتعدد الوظائف، يستثمره الخطاب القرآني في تأكيد الحقائق، وإلزام المخاطبين، وفضح المكذبين، وإثارة دافع الاستجابة والتوبة. وهي بذلك تعكس ببلاغتها ودقتها مدى عمق وثراء التفاعل بين النص والمستقبل، وتبرز قدرة الخطاب القرآني على تحويل التفصيل النحوي إلى وسيلة فكرية وعاطفية جليلة التأثير[69].

8. همزة الاستفهام في مقام التهكّم – قراءة بلاغية وتفسيرية متعمقة: ورد في تفسير ابن هشام آية من سورة هود، والتي يقول فيها القوم: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (هود: 87). وقد ذكر ابن هشام هذا الموضع ضمن سياق الهمزات الاستفهامية الخارجة عن معناها الحقيقي، موضحًا أن الهمزة هنا تحمل دلالة التهكّم، وهو من فنون البيان الذي يقوم على إخراج الكلام على ضد ما يقتضيه الحال، لاستخفاف المتكلم بالمخاطب أو استهزاء به، وهو أمر يُفهم جليًا من سياق الحوار وأحوال المخاطبين. التهكم في علم البيان: في مصطلح علوم البلاغة، يُعرف التهكّم بأنه أسلوب يُستخدم لإظهار السخرية

والاستهزاء، من خلال صياغة الكلام بصورة تعاكس الحقيقة الظاهرة، فتأتي الكلمات على خلاف ما يُراد منها ظاهريًا، مما يضفي على الخطاب بعدًا نفسيًا وقويًا من النقد والاستهزاء المُبطّن[70]. تنوع قراءات كلمة "أصلاوتك" ودلالاتها المعجمية والتفسيرية: تُثير كلمة "أصلاوتك" بعد الهمزة جدلًا قرائيًا ونحويًا غنيًا، إذ اختلف القراء بين التثنية والجمع: قرأ حمزة والكسائي وحفص بـ"أصلاتك" (بغير الواو)، مستندين إلى إجماعهم على التوحيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾، حيث يظهر المعنى بصيغة المفرد. في المقابل، قرأ آخرون بـ"أصلواتك" (بالواو)، مستندين إلى ما هو مكتوب في المصحف الشريف، ولا سيما في سورة براءة. أما من حيث المعنى، فثمة آراء متعددة حول مفهوم "الصلاة" هنا:

1. **الدين والمعتقد:** يقول عطاء إن المقصود بالدعاء أو الدين بشكل عام، وهو ما يميز الإنسان ويميز دينه[71].

2. **القراءة:** يقول الأعمش إن المقصود هو القراءة، وهو ما يرتبط بممارسة الشعائر أو الطقوس الخاصة داخل الصلاة.

3. **الصلوات المعروفة:** أي الصلوات المفروضة المعروفة عند المسلمين، وهو الرأي الشائع بين المفسرين.

1.8-إثراء الجانب البلاغي: التهكم والتقليل أو التكثير: إذا أخذنا بالقراءة المفردة (أصلاتك)، فإن هذا قد يُفسر كتقليلٍ من شأن الصلاة، وتحقيرها والاستهزاء بها، وكأنهم يُسقطون من قدسية هذا الفعل التعبدي، مقارنةً بصلاتهم (جمع آبائهم) وعكوفهم عليها، فيُظهرون استهزاءهم بتلك الصلاة التي يؤديها شعيب عليه السلام، باعتبارها مجرد تقاليد جديدة لا قيمة حقيقية لها. أما قراءة الجمع (أصلواتك)، فتُظهر كثرة الصلاة وتكرارها[72]، مما أثّر على سلوك شعيب، فجعله يأمرهم وينهى عن العادات السائدة

بينهم، الأمر الذي استهجنه وأثار سخريتهم منه. وهنا نلفت النظر إلى أن الإسناد في هذه العبارة مجازي، إذ إن الصلاة كفعل لا تؤمر ولا تُنهي، وإنما الأثر الناتج عنها – أي تأثيرها في نفس المؤمن وسلوكه – هو الذي يُنسب إلى الصلاة.

2.8-السياق التفسيري والنحوي: لقد أوضح النحاة أن الفعل المرتبط بالهمزة الاستفهامية ليس دائمًا معناه الظاهري، بل يُستخدم مجازيًا، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (النساء: 20)، حيث يكون الاستفهام على سبيل التوبيخ، ولا ينتظر جوابًا، وإنما لإثارة الندم والتوبة. وفي هذا السياق، يأتي استهزاء قوم شعيب بدينه، وسلوكهم الجاهلي، عبر استعمال الهمزة التهكمية التي تفيد الاستهزاء البالغ، وهو مؤشر على عجز المتهكمين وعجزهم عن الرد على الحجة، فبالرغم من تظاهرهم بالقوة والاعتراض، إلا أن سلوكهم وحالهم يكشف ضعف موقفهم الداخلي[73].

3.8-دلالات بلاغية إضافية: التهكم هنا يجمع بين التحدي والاستفزاز، ويعمل على إحداث شرخ في الخطاب الدعوي لشعيب عليه السلام، في محاولة لاستنزاف عزم الداعية وصبره. فالكلمة "أصلاوتك" سواء أُخذت بمعنى التقليل أو التكثير، تعكس معانٍ متشعبة من التحقير والاستهزاء، وبها إشارة إلى رفض المتهكمين لتغيير نمط حياتهم وعادات آبائهم، مع رفضهم لأي حديث عن إصلاح أو تهذيب. هذا الاستخدام التهكمي يُعدّ استثمارًا متميزًا في فنون الخطاب القرآني[74]، إذ يوظف الاستفهام ليس كأداة طلب معرفة، بل كوسيلة لاظهار السخرية والرفض الاجتماعي، ومن ثم ينقل إلى المخاطب الرسالة القوية التي تفيد ضعف حجتهم وهشاشة موقفهم أمام دعوة الحق. وخلاصة الأمر، يبرهن هذا المثال على براعة الخطاب القرآني في توظيف الهمزة الاستفهامية – هنا في مقام التهكم – بوصفها أداة بلاغية متعددة الأبعاد، تتجاوز حدود السؤال إلى فضاء الاستهزاء والاستهجان، وتستثمر الخصائص اللغوية للنص من حيث التقديم

والتأخير، والتنوع القرائي، والدلالات المعجمية، لتحقق أقصى أثر نفسي واجتماعي في المتلقين، مُظهرةً حيوية النص وقدرته على ملاقاة مختلف مستويات الفهم والتفاعل[75].

4.8-همزة الاستفهام في سياق الأمر – دراسة في الوظيفة الإنشائية وتعدد الدلالة الخطابية

تعدّ همزة الاستفهام من أبرز الأدوات التي يتجلى فيها تعدد المقاصد الخطابية في البيان القرآني، حيث تنزاح من دلالتها الأصلية – وهي طلب الفهم – إلى مقامات بلاغية أُخرى بحسب سياق الخطاب. ومن أبرز هذه المقامات ما أورده ابن هشام في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ، وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ، فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: 20). وقد بيّن ابن هشام أن الهمزة في موضع «أأسلمتم» خرجت عن الاستفهام الحقيقي إلى دلالة "الأمر"، فاستخدمت همزة الاستفهام هنا بوظيفة إنشائية تُفيد الأمر بطريق الاستفهام الصوري، وهو من الأساليب البيانية الدقيقة التي تستبطن دعوة مباشرة وإنكارًا ضمنيًا على من يُخاطب[76].

5.8-التوجيه البلاغي: تنوع الدلالة بحسب السياق

رغم أن ابن هشام اقتصر على بيان وجه واحد في هذا الموضع، وهو إفادتها معنى "الأمر"، إلا أن المتأمل في أقوال المفسرين والبلاغيين يدرك غنى هذا الأسلوب، واتساع أفق تأويله من حيث المقصد الخطابي، إذ ذكر بعضهم أن الهمزة هنا قد تدل على: التهديد، التوبيخ، التقرير، الاستبطاء. وكلّ وجه من هذه الوجوه له ما يسنده من سياق النص القرآني العام، ومن البنية التركيبية للآية، ومن المقاصد الدعوية التي يخاطب بها أهل الكتاب والأميين على حد سواء[77].

6.8-التفسير المقارن وأثر تنوع التوجيه في دلالة الخطاب

أولًا: القول بالأمر: من يرى أن الهمزة هنا أفادت الأمر، فإنه يستند إلى أن الاستفهام يُستخدم أحيانًا لحمل المخاطب على فعل معيّن بصيغة لطيفة تخرج عن هيئة الجزم الصريح، فتُحقق فاعلية الخطاب دون إغلاق باب القبول، إذ تأتي "أأسلمتم" بصيغة ظاهرها الاستفهام، وباطنها الدعوة القاطعة إلى الإسلام. والآية تُظهر أن النبي قد أعلن إسلامه وأظهر خضوعه لله تعالى، ودعا أتباعه لذلك، وهو الآن يأمر أهل الكتاب والأميين بأن يلحقوا بركب الهداية[78].

ثانيًا: القول بالتهديد: ومن رأى أن الهمزة للتهديد، فقد استقرأ السياق السابق واللاحق، ولاحظ أن الآية تُهيئ خطابًا إنذاريًا: "فإن أسلموا فقد اهتدوا، وإن تولّوا فإنما عليك البلاغ"، فجعل الاستفهام التهديدي توطئة لتحذيرهم من العاقبة، فكأن الخطاب يتضمن معنى: "إن لم تسلموا، فالعذاب مصيركم"[79].

ثالثًا: القول بالتوبيخ: أما من رأى أن الهمزة للتوبيخ، كأبي حيان، فقد حملها على معنى اللوم المؤلم والتقريع، لأن أهل الكتاب – وهم أهل العلم السابق – أولى الناس بالإيمان بالرسول، فقد عرفوه باسمه وصفته في كتبهم، ومع ذلك جحدوا دعوته. فالاستفهام هنا على هيئة توبيخ لتركهم الإسلام رغم وضوح الحق، وكأنه يقال لهم: "كيف لم تسلموا وأنتم أعرف الناس بصدق هذه الدعوة؟"[80]

رابعًا: القول بالتقرير: ويرى بعض المفسرين أن همزة "أأسلمتم" جاءت بصيغة التقرير، والمراد حمل المخاطب على الإقرار، فيكون الجواب "نعم" أو "لا"، فإن أجابوا بالإسلام فهم مهتدون، وإن أنكروا، فقد قامت عليهم الحجة، واستحقوا الوعيد، ويعزز هذا التأويل قوله: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾.

خامسًا: القول بالاستبطاء والتحضيض: أما ابن عاشور فقد رجّح أن الهمزة هنا تحمل دلالة "الاستبطاء" والتحضيض، فالاستبطاء هو حمل المخاطب على الفعل بعد طول تردّد أو إمهال، وكأن الخطاب يسألهم سؤالًا يُشبه اللوم العطوف: "ألم يحن الوقت بعد لتسلموا؟"، وهو ما يحمل في طيّاته ترغيبًا وإشعارًا بأن الباب ما زال مفتوحًا، فاستعجلوا الدخول في رحمة الله قبل أن يُغلق الباب[81].

أثر التعدد الدلالي في البناء الخطابي: يمثل هذا المثال نموذجًا حيًّا لتعدّد المعاني الناتجة عن انزياح همزة الاستفهام عن معناها الأصلي إلى وظائف بلاغية إنشائية تُثري النص وتمنحه مرونة في التعامل مع مختلف الحالات النفسية للمخاطبين. فبين التهديد، والتحضيض، والتوبيخ، والتقرير، تتوزع الدلالات وتتناغم لتخاطب العقل والعاطفة، وتغلق كل منافذ الجدل والإنكار، فلا يُترك للمخاطب إلا الإذعان أو المكابرة. بل إن تراكم هذه الدلالات المتنوعة في لفظة واحدة "أأسلمتم" يعطي للنص شحنة خطابية مكثفة، ويحوّل السؤال إلى قنبلة خطابية تنفجر في وعي السامع، فتضعه أمام مفترق طريق لا يحتمل إلا خيارين: الإسلام، أو الجحود مع سبق البيان والإنذار. والخلاصة، إن هذا التنوع المقصدي للهمزة الاستفهامية في هذا الموضع – وما احتمله من دلالات الأمر، والتوبيخ، والتهديد، والتقرير، والتحضيض – يؤكد أن الخطاب القرآني لا يكتفي بالأداء اللغوي السطحي[82]، بل يستثمر أدوات اللغة لتشييد شبكة دلالية عميقة، تتناسب مع مقام المخاطَب وحالته النفسية والاجتماعية والعقدية. ومن هنا، فإن تحليل مثل هذا الموضع لا يكون مجرد تفصيل لغوي، بل هو كشف عن البنية البلاغية المركّبة التي تُمكّن النص القرآني من أداء رسالته الإصلاحية والدعوية بأعلى درجات الإقناع والإلزام.

9. همزة الاستفهام في سياق التعجب: ورد في كلام ابن هشام مثال دقيق لاستعمال همزة الاستفهام في غير معناها الأصلي، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا، ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: 45].

التوجيه البلاغي: بيَّن ابن هشام – رحمه الله – أن الهمزة هنا خرجت عن أصل الاستفهام الحقيقي إلى التعجب، وهو خروج دلالي مشهور في الدرس البلاغي العربي، حيث يُستخدم الاستفهام مجازًا مرسلاً، علاقته اللزوم، إذ يدل السؤال – في الظاهر – على طلب الإدراك، لكنه في الحقيقة ينقل انفعال النفس وتعجبها من عظمة الحدث، وقلّة وقوعه، أو خفاء سببه[83]. وقد قرر البلاغيون أن التعجب هو "معنى ينشأ في النفس عند إدراك شيء نادر أو غير مألوف في سببه أو كيفيته"، ومن هنا يُفهم هذا الاستعمال للهمزة بوصفها كاشفة عن الإعجاز الكوني، لا طالبة لجواب.

أثر التوجيه في المقام التفسيري والخطابي: وقد تعددت أقوال المفسرين في هذا الموضع، بين من ذهب إلى أن الاستفهام هنا للتعجب كما قال ابن هشام، وبين من حمله على معنى التقرير، كما فعل بعض المفسرين المتأخرين. وكل من الوجهين يحتمله السياق القرآني، ولكلٍّ منهما أثره التفسيري العميق[84]:

أولاً: على القول بالتعجب: إذا حُمِل الاستفهام على التعجب، كان الخطاب موجهًا إلى رسول الله ﷺ، وهو أعلم الناس بربه وأشدهم إدراكًا لعجائب أفعاله، ومع ذلك يُدعى هنا – عبر الأسلوب – إلى التأمل في مظاهر القدرة الإلهية المدهشة، التي تتجلى في ظاهرة تمدد الظل وانقباضه، وما في ذلك من ضبط دقيق للكون وعناصره[85]. وهو تعجب مضمَّن بالتمجيد، يفيد تهييج وجدان المؤمنين لشهود آيات القدرة، وكأن الخطاب يحمل في طياته دعوة للغوص في جماليات المشهد الكوني، والتأمل في بديع صنع الله، بما يورث القلب خضوعًا واستكانة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ثانيًا: على القول بالتقرير: أما إذا اعتُبر الاستفهام على وجه التقرير، فالمقصود هو انتزاع الإقرار من المخاطب – لا بمجرد القول – بل بالإذعان القلبي، لأن ما يُسأل عنه هو أمر يشاهده الإنسان يوميًا، ويشهد عليه ببداهة حواسه. وقد ورد الفعل "ألم ترَ" بصيغة خطاب مباشر، توحي بالحضور والمشاهدة، وتُقرّب الصورة إلى الذهن، وكأن الظل يُمدّ بين يدي القارئ الآن. وحين يكون المخاطَب كافرًا أو معرضًا، فإن التقرير يصبح من وسائل إقامة الحجة عليه، بل وتحميله مسؤولية غفلته. ولعلّ اختيار لفظ "ربّك" في السياق[86]، بدلاً من الاسم الجلالي، هو توجيه شعوري دقيق يراد منه ترقيق القلب، وتحفيزه على الاعتراف بالولاية الربانية، واستحضار الحنان الإلهي في فعلٍ كونيٍ بسيط لكنه معجز، فيه تدبير وتنظيم يعجز عن تفسيره البشر.

البنية الخطابية بين التعجب والتقرير: إنّ دلالة التعجب في هذا الموضع تحمل بعدًا وجدانيًا يتجاوز الإدراك الحسيّ، بينما يحمل التقرير بعدًا عقليًا يُخاطب الإدراك المنطقي، وفي كلا الوجهين تتجلّى عظمة النسق القرآني، الذي يخاطب الإنسان بجناحيه: العقل والقلب، العلم والذوق، الحجة والانفعال. ويُلاحَظ أن سبق الآية جاء في مقام الذم والتقريع للكافرين: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 44]. وهذا يجعل من الاستفهام إما حجة عليهم بمرأى آيات الله، أو تعجبًا من غفلتهم عن آيات ممدودة أمامهم في الظل والشمس والليل والنهار.

10. الاستفهام بمعنى الاستبطاء: ويمثل هذا النوع ذروة الأساليب الوجدانية التي يُخاطَب بها المؤمنون، وقد استشهد ابن هشام بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾ [الحديد: 16].

التوجيه البلاغي والدلالي: الاستبطاء هو إظهار بطء المخاطب في فعل ما، مع ما يدل على توقّع حصوله، وغلبة الظن بوقوعه، ويُقال إنَّ فيه لومًا رقيقًا، وعرضًا خفيًّا،

وحضًّا شفيقًا. وقد أجمع البلاغيون على أنَّ هذا الأسلوب يجمع بين البيان والعتاب، ويُعَدّ من ألطف طرائق التنبيه القرآني، إذ يحمل في ظاهره التساؤل، وفي باطنه رجفة وجدانية توقظ النفوس[87].

الأثر التفسيري والخطابي: وقد اتفق جمهور المفسرين على أن هذا الاستفهام يُفيد معنى الاستبطاء، وهو هنا موجه إلى طائفة من المؤمنين، ممن طالت عليهم الأمد، أو غفلوا، أو فتروا عن الخشوع. وليس الغرض لومهم توبيخًا، بل تعنيفًا مشوبًا بالشفقة، كقولك لصديقك: "أما آن لك أن تفيق؟"، فالسياق يرمي إلى تحريك القلوب، وهزّ الأرواح، لتعود إلى الله خاشعة خاضعة. وقد حمل بعض المتأخرين على هذا الموضع أوجهًا غير دقيقة، كقولهم إنه استفهام توبيخي أو إنكاري، غير أن ابن هشام – بدقة المصطلح – حصره في "الاستبطاء"، وهو الأولى لما فيه من استدرار عاطفة السامع، واستنهاض همته، خاصة إذا اقترن بعبارة "الذين آمنوا"، التي تشعر بالانتماء والفضل، وتجعل الخطاب خاليًا من التحقير[88].

في نقد الاقتصار على المعاني الثمانية: إن اقتصار ابن هشام – رحمه الله – على ثمانية معانٍ للاستفهام، وإن كان مفيدًا في جمعه وتمثيله، إلا أنه لا يُغني عن استقراء استعمالاته في الكتاب العزيز، فقد أوصل بعض علماء البلاغة معاني همزة الاستفهام إلى عشرين معنًى، كما فعل الهاشمي في «جواهر البلاغة»، ومنها: التحقير، التهويل، التشويق، الاستئناس، الاستبعاد، التسوية، التعظيم، وغيرها من الدلالات التي تندرج أحيانًا تحت دلالات كبرى. لكنها في السياق القرآني تكتسب طابعًا مستقلًا وفق حال المخاطَب، والمقام الذي يُطرح فيه الخطاب. والخلاصة، يتضح مما سبق أن همزة الاستفهام في القرآن الكريم لا تخضع لمفهومٍ جامدٍ أو استعمالٍ معجميٍّ ضيق، بل تنفتح على طيف دلاليٍّ واسعٍ، يتراوح بين الإنشاء والخبر، بين اللين والشدة، بين الدعوة والإنكار. وهذا التنوّع في الدلالة ليس عبثًا أسلوبيًا، بل هو مقصود مقامي، يكشف عن

فاعلية اللغة بوصفها أداة بلاغية ونفسية وروحية في آن واحد، وهو ما يجعل من تحليل الاستفهام القرآني ميدانًا خصبًا للباحثين في تحليل الخطاب، والبلاغة الحجاجية، وفلسفة اللغة الدينية.

مناقشة المسألة وأثرها في التفسير: لقد ذهب جمهور المفسرين من المتقدمين والمتأخرين إلى تأييد ما قرره ابن هشام في "مغني اللبيب" من أن همزة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 16]. تفيد الاستبطاء، لا غيره من المعاني التي قد تُتوهم لأول وهلة من ظاهر اللفظ، كالإنكار أو التوبيخ أو التهديد، كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين، أو بعض رواة أسباب النزول التي لا تصح إسنادًا ولا دلالة[89]. فإن حمل الآية على المنافقين – كما فعل بعضهم – لا يستقيم لا من حيث السياق، ولا من حيث مضمون الخطاب الذي صدر بوصف الإيمان ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، وهو وصف شريف يدل على تحقق أصل الإيمان في قلوب المخاطبين. وعليه، فإنَّ التفسير الراجح هو أن الخطاب موجه إلى المؤمنين الذين اعتراهم نوع من الفتور أو الغفلة، فجاء هذا الاستفهام الاستبطائي ليوقظ فيهم جذوة الإيمان، ويستحثهم على تجديد الصلة بالله، والخشوع في القلب والجوارح لذكره، ولما نزل من الحق. فالاستبطاء في هذا السياق لا يفيد اللوم المباشر، بل يحمل في طياته معاني الشفقة والتذكير والتحفيز. فهو نداء رقيق النغمة، قويّ الأثر، يهيّج في النفس الشعور بالتقصير، ويدعوها – دون زجر – إلى المسارعة في الاستدراك[90]. ومن الأثر التفسيري البلاغي المهم في هذا الموضع أن الاستبطاء يستدعي أمرًا محبوبًا منتظرًا، قد آن أوانه، وتأخر حصوله، فكان لا بد من التنبيه إليه بلغة تحمل عتاب المحبّ للمحبوب، لا تعنيف الجاحد للجاحد. ومن ثم فإن الآية ترسم بُعدًا تربويًا راقيًا في الخطاب القرآني، حيث تستنهض النفوس المؤمنة لا بالتخويف، بل بتذكيرها بواجبها الطبيعي، ومكانتها المفترضة، وعدم التشبه بأهل الكتاب الذين قست قلوبهم لما طال

عليهم الأمد. وقد قال تعالى عقب ذلك: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: 16]. مما يُعزز هذا التوجيه، ويُقرّب مقصود الاستفهام. ومن جهة أخرى، فإنَّ هذا الاستفهام يُظهر التناسب الفريد بين البنية النحوية والتصميم البلاغي، حيث يُقدَّم الإنشاء الاستفهامي في قالب خبري يحمل في مضمونه معنى الإنذار اللطيف والتوجيه المباشر، وهو ما يجعل هذا الأسلوب من أرقى أساليب الوعظ القرآني، الذي يجمع بين الدقة اللغوية وعمق التأثير الخطابي[91]. ومن هنا، فإنه تبرز أهمية الهمزة الاستفهامية لا بوصفها أداة نحوية فحسب، بل باعتبارها مُحركاً وظيفياً فاعلاً في بنية الخطاب القرآني، تكشف عن تنوع أسلوبي، وثراء دلالي، وحكمة بلاغية تامة، تتداخل فيها المقاصد التفسيرية مع التوجيهات النفسية، والدلالات العقدية مع الأبعاد الحجاجية والتربوية. وقد كشف البحث أن الهمزة الاستفهامية تتجاوز معناها الظاهري لتؤدي وظائف متعددة – منها الإنكار، التوبيخ، التهكم، التقرير، الأمر، التعجب، الاستبطاء – وفق سياق الآية، ومقاصد الخطاب، وأحوال المخاطبين، مما يجعلها لبنة مركزية في بنية المعنى القرآني.

ولعل من أبرز ما تبيّن في هذا البحث أن ابن هشام – رحمه الله – لم يكن نحويًّا تقليديًّا، بل كان قارئًا بلاغيًّا للخطاب، يستخرج المعاني الدقيقة من وراء الحروف، وينقّب في طبقات المعنى، ويوائم بين الصناعة النحوية وفن التأويل الخطابي. ومن خلال تتبع الشواهد التي أوردها في مغني اللبيب، ومواءمتها مع أقوال المفسرين، اتضح أن الهمزة الاستفهامية تؤسس لما يمكن تسميته بـ "بلاغة الاستفهام القرآني"، تلك البلاغة التي لا تقف عند حدود الإثبات والنفي، بل تخترق بنية النفس، وتحرك الفكر، وتستثير المشاعر، وتسوق المخاطب نحو الاعتراف بالحقيقة أو التمرد عليها. إنّ هذا البحث إذ يعيد قراءة حرفٍ واحدٍ من حروف المعاني بمنهج تحليلي خطابي، فإنه يؤكّد أن أعظم أسرار النص القرآني كامنة في أبسط وحداته اللغوية، وأنّ فهم تلك الوحدات في ضوء

البلاغة والنحو والسياق يمكن أن يشكّل أداة فعالة في تحليل الخطاب وتفسيره تفسيرًا شموليًا جامعًا بين المبنى والمعنى. ومن هنا، فإن هذا الحرف – الذي ظنه بعضهم أيسر أبواب النحو – قد تبين أنه أعظمها أثرًا في توجيه الخطاب وبلورة مقاصده العليا. ولعلّ من المناسب في ختام هذا المقام أن يُرفع الأكفّ شكراً لله تعالى الذي وفّق لهذا العمل، وأن يُدعى المشتغلون بعلوم القرآن واللغة إلى مزيد من العناية بمثل هذه الدراسات الدقيقة، لما فيها من استجلاء لأسرار الإعجاز القرآني، وإظهار لجلال البيان الإلهي.

11.الخاتمة: النتائج والتوصيات

فبعد هذا التتبع الدقيق والتحليل العميق لمسألة دلالات همزة الاستفهام كما وردت في كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري – رحمه الله – وما تخلل ذلك من استقراء للشواهد القرآنية، وموازنة بين أقوال المفسرين والبلاغيين، أمكن تسجيل عدد من النتائج والتوصيات ذات البعد النحوي والبلاغي والتفسيري، أبرزها:

1. أهمية حروف المعاني بوصفها مفاتيح تأويلية لفهم النص القرآني، إذ تشكل جسورًا بين المبنى والمعنى، وتفتح أمام الدارس أفقًا لتذوق المقاصد العليا للخطاب الإلهي، وكان لِهمزة الاستفهام خصوصية بيانية عظيمة ظهرت في تنوع دلالاتها بين الحقيقي والمجازي، مما أثمر ثراءً في التفسير والمعنى.

2. بيان مكانة كتاب "مغني اللبيب" كأحد أعمدة النحو العربي، ومرجع متين في تفسير الخطاب القرآني، إذ ظهر من خلاله عمق اطلاع مؤلفه، وقوة حافظته، وحسن استحضاره للشواهد القرآنية، بل وقدرته النقدية العالية في مناقشة أقوال كبار المفسرين كالزمخشري وأبي حيان، وتصويبه لها بأدلة رصينة.

3. الكشف عن طاقات بلاغية وتأويلية دفينة، وذلك من خلال تحليل الهمزة القرآنية وتعدد معانيها، مما أفضى إلى إبراز ثنائية التنوع والتوجيه في الخطاب القرآني، والانتقال السلس بين الإنشاء والخبر، والعاطفة والمنطق، بما يحقق غايات التبليغ والتأثير.

4. الربط بين الدلالة النحوية والأثر التربوي العقدي، حيث ظهر كيف يمكن أن تنتج عن أداة نحوية واحدة معانٍ متفرعة تؤثر في موقف القارئ، وسلوكه، وانفعاله، كما في همزة التقرير، أو الاستبطاء، أو التهكم، وغيرها.

5. الإفادة من بعض الشواهد في السياق الدعوي، كتفضيل العلماء على الجاهلين في همزة التسوية، وضرورة تمكين الداعية من الصبر واليقين في مواجهة سخرية المعاندين، كما في همزة التهكم، وهي دلالات تبني تصورًا حجاجيًا دقيقًا في مقام الدعوة والخطاب.

6. الدعوة إلى التوسّع في دراسة حروف المعاني في القرآن الكريم ضمن منهج يجمع بين التحليل النحوي والبلاغي والتأويلي، حيث تبين أن الاقتصار على ثمانية معانٍ لِهمزة الاستفهام، كما فعل ابن هشام، لا يغني عن استقراء السياقات المختلفة، التي قد تحمل وجوهًا زائدة على ما قرّره، مما يدعو إلى إعادة قراءة هذه الأدوات في ضوء علوم تحليل الخطاب الحديثة.

7. إن هذا البحث يفتح الباب أمام دراسات أكثر توسعًا في حروف المعاني، من حيث الوظيفة البلاغية، والدور التأويلي، والحمولة النفسية التي تنقلها من مجرد أدوات تركيبية إلى مفاتيح دلالية كبرى، تسهم في إنتاج المعنى القرآني، وتفعيل مقاصده في الوعي والسلوك.

12.التوصيات: يوصي الباحث – في ضوء ما أظهرته الدراسة من ثراء دلالي للهمزة الاستفهامية، واتساع حضورها الوظيفي في بنية الخطاب القرآني – بجملة من التوصيات العلمية والمنهجية، من شأنها تعزيز الوعي بعمق البنية النحوية للخطاب، والارتقاء بمستوى تناولها في الأوساط الأكاديمية والبحثية، وهي على النحو الآتي:

1. الاعتناء بتدريس كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري باعتباره مرجعاً أساسياً في فهم حروف المعاني ووظائفها السياقية، لما يحويه من دقة نحوية، وإحاطة بلاغية، واستشهاد قرآني متين، لا سيّما في بيانه لأوجه الاستفهام وطرائق استثمارها في تحليل

البنية العميقة للخطاب. ويقترح الباحثان تضمينه في البرامج الأكاديمية للدراسات العليا في أقسام اللغة والتفسير، على غرار ما هو معمول به في الجامع الأزهر وبعض المؤسسات العلمية الراسخة.

2. فتح آفاق البحث الجامعي نحو إنتاج رسائل علمية متخصصة تستجلي دقائق مغني اللبيب، وتكشف عن إبداع ابن هشام في تفكيك البنية المعنوية لحروف المعاني، خصوصًا ما يتعلق بالاستفهام، إذ لا يُدرك تأويل الخطاب القرآني على وجهه إلا بفهم مستبطن لدلالات هذه الحروف وسياقاتها.

3. تقديم شروح علمية عصرية ميسّرة للكتاب تراعي الخلفية اللغوية لطلبة العلم، وتترجم مصطلحاته إلى مفاهيم تربوية ومعرفية قريبة المأخذ، بما يحقق الجمع بين رصانة المادة العلمية وتبسيطها دون إخلال، وذلك عبر شروح مرئية، أو برامج أكاديمية، أو وحدات إلكترونية تفاعلية.

4. الاهتمام بجمع تعقّبات ابن هشام على المفسرين، واستجلاء أبعادها النقدية والتحليلية، بما يكشف عن رؤيته النحوية المغايرة، ومنهجه المقارن في قراءة الخطاب القرآني، ولا سيّما استدراكاته على الزمخشري وأبي حيّان، إذ تبرز تلك الاستدراكات رؤية نحوية تفسيرية متكاملة، تستحق أن تُدرس في ضوء مقاربات تحليل الخطاب المعاصرة.

13- قائمة المراجع:

1. الألوسي، شهاب الدين محمود، **روح المعاني**، دار الكتب العلمية، بيروت. (1415).

2. امرؤ القيس، حجر بن الحارث، **ديوان امرئ القيس**، دار المعارف، القاهرة. (د-ت).

3. البغوي، الحسين بن مسعود، **تفسير البغوي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (د-ت).

4. البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. (د- ت).

5. البيضاوي، عبد الله بن عمر، **أسرار التنزيل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (د-ت).

6. الثعلبي، أحمد بن محمد، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (2002).

7. الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، مطبعة المدني، القاهرة. (1992).

8. الجلالين، المحلي والسيوطي، **تفسير الجلالين**، دار الحديث، القاهرة. (د-ت).

9. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، دار الكتاب العربي، بيروت. (1422).

10. ابن جزي، محمد بن أحمد، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت. (1416).

11. أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، دار الفكر، بيروت. (1420).

12. ابن الحاجب، عثمان بن عمر، **أمالي ابن الحاجب**، دار عمار، الأردن. (1989).

13. الخازن، علاء الدين علي، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الكتب العلمية، بيروت. (1415).

14. الداني، عثمان بن **سعيد، التيسير في القراءات السبع**، دار الكتاب العربي، بيروت. (1984).

15. الرازي، أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر، بيروت. (1979).

16. الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت. (1995).

17. الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (1420).

18. الزبيدي، محمد بن محمد، تاج **العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية، (د–ت).

19. الزجاج، إبراهيم بن السري، **معاني القرآن وإعرابه**، عالم الكتب، بيروت. (1988).

20. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير**، دار الفكر المعاصر، دمشق. (1418).

21. الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت. (1407).

22. ابن زنجلة، أبو زرعة، **حجة القراءات**، دار الرسالة، بيروت. (د–ت).

23. السمرقندي، نصر بن محمد، **بحر العلوم**، دار الوطن، الرياض. (د–ت).

24. السمعاني، منصور بن محمد، **تفسير القرآن**، دار الوطن، الرياض. (1997).

25. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، **الدر المصون**، دار القلم، دمشق. (د–ت).

26. سيبويه، عمرو بن عثمان، **الكتاب**، مكتبة الخانجي، القاهرة. (1988).

27. أبو السعود، محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (د–ت).

28. الصافي، محمود بن عبد الرحيم، **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، دار الرشيد – مؤسسة الإيمان، بيروت – دمشق. (1418).

29. الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، مؤسسة الرسالة، (د–ت). (2000).

30. الطنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر، القاهرة. (د–ت).

31. عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها**، دار النفائس، الأردن. (2018).
32. عبد الحق بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، دار الكتب العلمية، بيروت. (2001).
33. أبو عبيدة، معمر بن المثنى، **مجاز القرآن**، مكتبة الجانجي، القاهرة. (1381).
34. ابن عادل، عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، دار الكتب العلمية، بيروت. (1998).
35. ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس. (1984).
36. عمر بن أبي ربيعة، **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، دار القلم، بيروت – لبنان. (د-ت).
37. عوني، حامد، **المنهاج الواضح للبلاغة**، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر. (د-ت).
38. الفراء، يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر. (د-ت).
39. القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، القاهرة. (1964).
40. القنوجي، محمد صديق خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، المكتبة العصرية، بيروت. (1992).
41. الماوردي، علي بن محمد، **النكت والعيون**، دار الكتب العلمية، بيروت. (د-ت).
42. المرادي، حسن بن قاسم، **الجنى الداني في حروف المعاني**، دار الكتب العلمية، بيروت. (د-ت).

43. المغربي، أحمد بن محمد، **مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح**، دار الكتب العلمية، بيروت. (2003).
44. النحاس، أحمد بن محمد، **إعراب القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت. (2000).
45. النسفي، عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل**، دار الكلم الطيب، بيروت. (1998).
46. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، المكتبة العصرية، بيروت. (د–ت).
47. ابن هشام، عبد الله بن يوسف، **مغني اللبيب**، منشورات مكتبة الصادق، (د–ت).
48. الواحدي، علي بن أحمد، **التفسير البسيط**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض. (د–ت).
49. ابن يعيش، يعيش بن علي، **شرح المفصل**، دار الكتب العلمية، بيروت. (2001).

الهوامش والإحالات

---

[1] ابن هشام، عبد الله بن يوسف، **مغني اللبيب**، منشورات مكتبة الصادق، (د–ت). ص 13.

[2] الزبيدي، محمد بن محمد، تا**ج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية، (د–ت). ص 129.

[3] المرادي، حسن بن قاسم، **الجنى الداني في حروف المعاني**، دار الكتب العلمية، بيروت. (د–ت). ص 30، 31.

[4] ابن هشام، **مغني اللبيب**، ص 13.

[5] سيبويه، عمرو بن عثمان، **الكتاب**، مكتبة الخانجي، القاهرة. (1988). ص 128.

[6] الداني، عثمان بن **سعيد، التيسير في القراءات السبع**، دار الكتاب العربي، بيروت. (1984). ص 189.

[7] الفراء، يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر. (د-ت). ص 416.

[8] الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، مؤسسة الرسالة، (د-ت). (2000). ص 365.

[9] البغوي، الحسين بن مسعود، **تفسير البغوي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (د-ت). ص 81.

[10] القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، القاهرة. (1964). ص 238.

[11] الرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (1420). ص 428.

[12] الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت. (1407). ص 116.

[13] البيضاوي، عبد الله بن عمر، **أسرار التنزيل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (د-ت). ص38.

[14] الألوسي، شهاب الدين محمود، **روح المعاني**، دار الكتب العلمية، بيروت. (1415). ص 236.

[15] أبو السعود، محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (د-ت). ص 245.

[16] أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، دار الفكر، بيروت. (1420). ص 188.

[17] ابن هشام، **مغني اللبيب**، ص 13.

[18] امرؤ القيس، حجر بن الحارث، **ديوان امرئ القيس**، دار المعارف، القاهرة. (د-ت). ص12.

[19] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس. (1984). ص 346.

[20] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ص 4.

[21] السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، **الدر المصون**، دار القلم، دمشق. (د–ت). 415.

[22] عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها**، دار النفائس، الأردن. (2018). ص 169.

[23] ابن يعيش، يعيش بن علي، **شرح المفصل**، دار الكتب العلمية، بيروت. (2001). ص53.

[24] ابن هشام، **مغني اللبيب**، ص 15.

[25] عوني، حامد، **المنهاج الواضح للبلاغة**، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر. (د–ت). ص6.

[26] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ص 480.

[27] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ص 484.

[28] البغوي، **تفسير البغوي**، ص 139.

[29] الواحدي، علي بن أحمد، **التفسير البسيط**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض. (د–ت). **246**.

[30] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ص 26.

[31] الخازن، علاء الدين علي، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الكتب العلمية، بيروت. (1415). ج 2، ص 128.

[32] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج 2، ص 137.

[33] ابن عادل، عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، دار الكتب العلمية، بيروت. (1998). ج 8، ص 248.

[34] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، دار الكتاب العربي، بيروت. (1422). ج 2، ص 4.

[35] الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج 6، 346.

[36] الصافي، محمود بن عبد الرحيم، **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، دار الرشيد – مؤسسة الإيمان، بيروت – دمشق. (1418). ج 7، ص 195.

[37] عمر بن أبي ربيعة، **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، دار القلم، بيروت – لبنان. (د–ت). ص 209.

[38] الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، مطبعة المدني، القاهرة. (1992). ج 1، ص 120.

[39] المرادي، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ص 595.

[40] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج 1، ص 371.

[41] البغوي، **تفسير البغوي**، ج 1، ص 47. الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج 2، ص 436.

[42] ابن هشام، **مغني اللبيب**، ص 15، 16.

[43] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج 2، ص 134.

[44] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج 1، ص 291.

[45] الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج 8، 279.

[46] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج 3، ص 244.

[47] سيبويه، **الكتاب**، ج 1، ص 128.

[48] البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. (د– ت)، ج 4، ص 474.

[49] الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير**، دار الفكر المعاصر، دمشق. (1418)، ج 3، ص 278.

[50] ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج 1، ص 17.

[51] النحاس، أحمد بن محمد، **إعراب القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت. (2000)، ج 4، ص 286.

[52] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 28، 245.

[53] ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج 1، ص 17.

[54] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج 2، ص 668.

[55]الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج 4، ص 373.

[56] الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج 14، 189.

[57] أبو عبيدة، معمر بن المثنى، **مجاز القرآن**، مكتبة الجانجي، القاهرة. (1381)، ج 1، ص 380.

[58] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج 2، ص 668.

[59] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 15، 108.

[60] السمرقندي، نصر بن محمد، **بحر العلوم**، دار الوطن، الرياض. (د–ت)، ج 1، ص 18.

[61] ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج 1، ص 18.

[62] ابن الحاجب، عثمان بن عمر، **أمالي ابن الحاجب**، دار عمار، الأردن. (1989)، ج 1، ص 279.

[63] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج 3، ص 573. وانظر: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، **الدر المصون**، ج 3، ص 634.

[64] البغوي، **تفسير البغوي**، ج 1، ص 588.

[65] ابن فارس الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، ج 1، ص 307.

[66] ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج 1، ص 18.

[67] الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 98.

[68] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج 3، ص 124. وانظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج 11، 34.

[69] الماوردي، علي بن محمد، **النكت والعيون**، دار الكتب العلمية، بيروت. (د-ت)، ج 1، ص 172.

[70] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج 3، ص 124.

[71] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج 7، ص 306.

[72] مكي بن أبي طالب القيرواني، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج 1، ص 392.

[73] نظام الدين النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج 1، ص 92.

[74] يحيى العلوي الطالبي، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ج 3، ص 91.

[75] البغوي، **تفسير البغوي**، ج 3، ص 462. وانظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ص87.

[76] ابن زنجلة، أبو زرعة، **حجة القراءات**، دار الرسالة، بيروت. (د-ت)، ص 376.

[77] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج 2، ص 396.

[78] الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت. (1995)، ص 375.

[79] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 12، ص 141.

[80] البغوي، **تفسير البغوي**، ج 2، ص 422. وانظر: السمرقندي، نصر بن محمد، **بحر العلوم**، ج1، ص 202.

[81] الزجاج، إبراهيم بن السري، **معاني القرآن وإعرابه**، عالم الكتب، بيروت. (1988)، ج 1، ص 390. وانظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج 1، ص 347. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 4، ص 93.

[82] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج 3، ص 87.

[83] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 3، ص 202.

[84] المغربي، أحمد بن محمد، **مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح**، دار الكتب العلمية، بيروت. (2003)، ج 1، ص 474.

[85] المغربي، **مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح**، ج 1، ص 490.

[86] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج 13، ص 397. وانظر: الطنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر، القاهرة. (د–ت)، ج 10،204.

[87] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 19، ص 39. وانظر: أبو السعود، محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج 6، ص 222.

[88] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج 13، ص 396.

[89] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج 13، ص 396.

[90] الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، المكتبة العصرية، بيروت. (د–ت)، ج 1، ص 84، 85.

[91] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج 4، ص 477. وانظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج 1، ص 208. عبد الحق بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، دار الكتب العلمية، بيروت. (2001)، ج 5، ص 263.